الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون - تيارت-

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية

قسم العلوم الانسانية

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الليسانس في التاريخ

العنوان

أبو مدين الغوث التلمساني شخصيته وآثاره

520-594هـ/1126-1197م

من إعداد الطالبين:

بوشارب عبد الصمد

بوسيف حسان

إشراف الأستاذ:

حيمي عبد الحفيظ

السنة الجامعية: 2011-2012م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾.

﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِن رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾.

إلى روح الفقيدة الأستاذة "سعدو تالية" رحمها الله تعالى وأسكنها فسيح جنانه، جعل الله مثواها الجنة وأسكنها مع النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

إهداء

إليكم من حفرتم وجوهكم في صفحات قلبي .

إلى من أقول فيها أروع الكلام حتى يجف حبر كل الأقلام

فإن كنت السحاب كانت لي السماء

وإن كنت الصحراء كانت لي الزاد والماء

وإن كنت الداء كانت لي الدواء

إلى من كانت لأسراري وآهاتي أفضل كتيمة.

وحدك أمي الحبيبة.

إلى منبت فخري ومسهل حياتي ،إلى من اختار لنا عينيه مأوى لنا أبتاه الغال

إلى من ساعدني في رحلتي العلمية

كلمة الأبر منها

وأما بِنِعمة ربك فَحدثْ

شكره نجم بعيد لا تبلغه أشواطي، و أخاف التفريط بحقه بإفراط، لله رب العالمين الولي العظيم.

الحمد لله رب العالمين حمدا يوافي نعيمه و يكافئ مزيده.

الحمد لله الولي الوهاب، م ل الكتاب، انزله قرآنا عظيما و ذكرا حكيما، انزله على خاتم الرسالة، الهادي للأمة،الناطق بالحكمة،صلي اللهم عليه وسلم صلاة لا ينقطع مددها،ولا ينتهي أمدها،وعلى آله وصحبه الذين هداهم،و بصحبته خصهم وسلم كثيرا.

الحمد لله الذي لا اله سواه، ثم إليكم يا من لا يعبدون إلا إياه.

إلى كل ميسر يسر الله عسرته.

إلى كل مفرج فرج الله كربته.

و الشكر الجزيل الى من أعياه الجهد لفلاحنا الأستاذ المحترم عبد الحفيظ حيمي رزقك الله تاج الفلاح في الدارين.

جزاكم الله عنا خير الجزاء.

قائمة المختصرات

ج: جزء

دط: دون طبعة

ط: طبعة

ص: صفحة

تح: تحقيق

تر: ترجمة

تع: تعريب

تق: تقديم

مر: مراجعة

مقدمة

مقدمة

يعتبر اية عصر المرابطين وبداية عصر الموحدين من بين أزهى وأرقى العصور الإسلامية، التي عرفتها منطقة المغرب الإسلامي عامة والأوسط خاصة، فضلا عن مساهمة الكثير من العلماء في إرساء الحضارة، وإثراء التراث الفكري، فمن خلال اعتمادنا على كتب عديدة، وقفنا على عدد هام من علماء المغرب، ممن اضطلعوا في عدة مجالات، ونبغوا فيها ممارسة وتصنيفا، وكانوا بحق ورثة للأنبياء في الأرض، ونبراسا تدي به الشعوب إلى طريق الحق وقناديل تضيء الحياة في عتمة الجهل، مما استدعى التنويه م ومصنفا م التي أضحت مصادر في مختلف ا الات، وإرثا تعاقبت الأجيال على اغتراف المعرفة منه.

فقد حفظ لنا التاريخ الإسلامي في اية القرن الخامس وبداية القرن السادس الهجريين العديد من السادة والعلماء، وكبار المشائخ، وفي مقدمتهم الشيخ أبا مدين شعيب الأندلسي التلمساني، الذي ذاع صيته في المغرب والمشرق في تلك الفترة، فقد عاشت هذه الشخصية، في كنف بجاية وانتمت إلى تراثها الحنيف الذي أعطى للأمم المعنى الحقيقي للقيم الانسانية، وقدم لها أرقى الأساليب في العلم والمعرفة.

ويعود سبب اختيارنا لهذا الموضوع رغبة منا في التعرف على هذه الشخصية التي طمستها الأيام، ولم تحظ بالعناية والبحث التاريخي، وكانت مغيبة طيلة قرون، فالعديد منا لا يعرف عن هذه الشخصية إلا اسمها، رغم ما قدمته من أعمال جليلة خلدها التاريخ الإسلامي، ومنحها أعلى المراتب والدرجات، لذلك ارتأينا دراسة هذه الشخصية التي جالت المشرق والمغرب في سبيل طلب العلم ونشره.

ومن هذا المنطلق نطرح الإشكالية التالية:

- من هو الشيخ أبو مدين الغوث؟ وفيما يتجلى انتاجه الفكري ودوره الحضاري؟

هذه الاشكالية تفرض تساؤلات فرعية نذكر منها:

كيف استطاع هذا الشيخ الوصول إلى مرتبة الولاية وشيخ المشايخ؟ وفيما تمثل دوره الديني والاجتماعي؟ وهل كان له دور في نشر التصوف؟

هل كانت له علاقة بحكام دولتي المرابطين والموحدين؟

وكما هو معهود بالنسبة لكل دراسة تاريخية، هناك مجموعة من الصعوبات والعراقيل والتي واجهتنا في إعداد هذه الدراسة، ولعل من بينها: قلة المادة التاريخية التي تحدد تاريخ خروج الشيخ أبو مدين من مدينة فاس، وكذا استقراره ببجاية، إضافة إلى عدم تطرقها بالتفصيل عن دوره الجهادي بالمغرب والمشرق، كما لم توضح لنا موقفه من غزو بني غانية لبجاية، واكتفت هذه المصادر والمراجع بذكر مولده ونشأته وأهم كراماته ووفاته، وما يمكن القول هو أننا وجدنا تشا ا كبيرا في المادة العلمية، مما خلق لنا صعوبة التحكم فيها، ولكنها لم تثني من عزيمتنا ورغبتنا وطموحنا في إثراء موضوعنا وتوضيح بعض المعالم التي تدل على مكانته العلمية وأثرها على ا تمع.

وقد قمنا بتقسيم موضوع دراستنا إلى ثلاثة فصول:

الفصل الأول تناولنا فيه ترجمة لشخصية أبي مدين من حيث اسمه ونسبه ومولده، ونشأته، أما العنصر الثاني فقد تطرقنا فيه إلى انتقاله من الأندلس إلى المغرب ثم رحلته الشاقة، فعودته إلى المغرب، وفي العنصر الثالث تناولنا فيه لقاء بعض من عاصرهم من العلماء وثنائهم عليه، كما تطرقنا إلى الآثار التي تركها الشيخ أبو مدين شعيب.

أما الفصل الثاني حمل عنوان عصر أبي مدين، والذي ذكرنا فيه الأوضاع السياسية والثقافية لبلاد المغرب الاسلامي خلال بداية القرن الخامس و اية القرن السادس هجري، الذي عاش فيه الشيخ الإمام وقد تفرعت عن هذا الفصل أربعة عناصر الأول تناولنا فيه كيفية سيرورة دولتي

المرابطين والموحدين من النشأة إلى السقوط، أما العنصر الثاني والثالث إلى أوضاع بجاية السياسية والفكرية، وفي العنصر الرابع حاولنا أن نظهر دوره في بجاية حين استقراره ا وتدريسه لأبنائها.

أما الفصل الثالث فقط خصصناه للتصوف عند أبي مدين حيث أعطينا مفهوما للتصوف ونشأته ورواجه بالمغرب الاسلامي، كما تطرقنا إلى منهج أبي مدين في التصوف، وتأسيسه المدرسة المدينية والتي نشأت عنها عدة مدارس التي كان لها الدور في نشر التصوف في المغرب الإسلامي. وخاتمة موضوعنا كانت مجموعة من الاستنتاجات والنقاط حول شخصية الشيخ أبي مدين شعيب إضافة إلى الملاحق التي تحتوي على مجموعة من الصور والجداول، والقصائد الشعرية ومخطوطات.

لإعداد هذه الدراسة اعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع، ففيما يتعلق بالمصادر نذكر منها مخطوطا لصابحه ابن صعد التلمساني المعنون بـ "النجم الثاقب فيما أولياء الله من المفاخر والمناقب" والذي تناول مجموعة من الشخصيات وكبار علماء المتصوفين والزهاد، وفي مقدمتهم الشيخ أبا مدين، حيث أفادنا في معرفة نشأته، وكذا طلبه للعلم وتدريسه ببجاية، غير أنه لم يتناول الإطار الزماني الذي استقر فيه الشيخ بمدينة بجاية.

-عرض المصادر

كتاب التشوف إلى رجال التصوف لابن زيات التادلي الذي ألفه في القرن السابع هجري الموافق للقرن الثالث عشر ميلادي، وهو أهم الكتب التي اعتمدنا عليه، حيث شكل العمود الرئيس في بحثنا من خلال قيمة المادة التاريخية التي احتواها بين صفحاته فقد كان موسوعة شملت الفترة الممتدة بين القرنيين الخامس والسابع هجري الحادي عشر والثالث عشر ميلادي، وقد ترجم فيه لمائتين وتسعة وسبعين صوفيا منه الشيخ أبا مدين شعيب واتبع في منهجه فاعتمد على الروايات موثوقة المصادر، وتأكد من خلال ما ذكره في كتابه بأنه متأثر بالتصوف، وتكمن استفادتنا منه

لثرائه بمعلومات عن متصوفة عصري المرابطين والموحدين، وعلاقا م بالسلطة القائمة آنذاك، فضلا عن مواقفهم من مجرى الأمور وعلاقة الشيخ أبي مدين با تمع على وجه الخصوص في تلك الفترة.

-كتاب أنس الفقير وعز الحقير لابن قنفذ القسطنطيني (توفي 810هـ-1407م) وقد نشأ صاحبه في بيئة صوفية لذا آمن بكرامات المتصوفين وأقر ا واهتم بتتبع أخبارهم واتضح ذلك من خلال اعجابه بالمتصوف أبي مدين شعيب الذي بدا واضحا جليا حتة أنه خصص كتابه هذا لأخباره فعمد إلى تقاصي كل ما يتعلق به وباتجاهه الصوفي كما أنه اهتم بسرد أخبار أتباعه وتلامذته، ممن أخذوا عنه وعملوا على نشر أفكاره وقام أيضا بالتعريف بحياة أبي مدين وكل ما يتعلق به.

-كتاب البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان لابن مريم (توفي 1014هـ-1605م) الذي تضمن 182 ترجمة لأولياء والعلماء بتلمسان، التي كانت من بين أهم المدن التي عرفت انشار للتصوف فيها، فهذا الكتاب أفادنا في معرفة تنقل المتصوفة، وخاصة سيدي أبي مدين شعيب التلمساني.

إضافة إلى جملة من المراجع هي الأخرى نذكر أهمها:

-كتاب بحار الولاية المحمدية لجودة محمد أبو اليزيد المهدي، والذي اعتمدنا عليه في تحديد الاطار الزماني لمولده وثناء العلماء والأكابر عليه ومنهجه في التصوف.

-كتاب عنوان الدراية لصاحبه أحمد عبد الله الغبريني، وكتاب أعلام التصوف في الجزائر لعبد المنعم القاسمي واللذين أفادانا في معرفة نشأة التصوف في الجزائر وفي ذكر أهم تلامذة الشيخ أبا مدين.

وكتاب شيخ الشيوخ أبو مدين الغوث، حياته ومعراجه إلى الله لعبد الحليم محمود الذي تعرفنا من خلاله على أهم الشيوخ الذين اتصل م أبو مدين، في رحلا م العلمية أخذه منهم مختلف العلوم ظاهرا وباطنا.

الفصل الأول

ترجمة شخصية أبي مدين 520هـ- 594 هـ

1- مولده ونسبه.

2-رحلاته العلمية وأهم شيوخه.

3-ثناء العلماء عليه.

4-آثاره

1-ترجمة شخصية أبي مدين:

1-1- مولده ونسبه:

أبو بومدين الغوث التلمساني، هو شعيب بن أحمد بن جعفر بن شعيب أو ابن الحسين الأنصاري البجائي[1]، واسم والدته فاطمة بنت أحمد بن عبد الله بن مدين بن شعيب المدينة.[2] وكنيته أبو مدين، تكنى بابنه سيدي مدين دفين مصر المحروسة، بجامع الشيخ عبد القادر الدشطوطي[3]وأصله من إشبيلية* بالأندلس، ولد رضي الله تعالى عنه على مقربة من شمالها بحصن قنطنيانة في العقد الثاني من القرن السادس هجري[4]سنة 520هـ / 1126م. [5] في عهد السلطان المرابطي علي بن يوسف بن تاشفين.[6]

وباعتباره فقيه الأولياء، وعمدة الأتقياء ترجم له العديد من المؤرخين والباحثين في التاريخ.[7]

1- يحيى أبو عبد الواحد الأمين بوكليخة، حكم سيدي بومدين شعيب وابن عطاء الله السكندري، تلمسان، 2001، ص:01.

2- عمار النجار، الطرق الصوفية في مصر نشأ ا ونظمها وروادها، دار المعارف، مصر، ص: 82.

3- يحي أبو عبد الواحد، المصدر السابق، ص: 01.

*- إشبيلية: مدينة كبيرة عامرة ذات أسوار حصينة وأسواق كثيرة وأهلها مياسير وجل تجار م بالزيت. يتجهز به منها إلى أقصى المشارق والمغارب برا وبحرا، - أنظر: عبد الله الشريف الإدريسي، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس (مقتبس من كتاب نزهة المشتاق) تحقيق وتعليق وتقديم إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، سنة 1983،ص: 264.

4- جودة محمد أبو اليزيد المهدي، بحار الولاية المحمدية في مناقب أعلام الصوفية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1؛ 1987م، ص: 428.

5- يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط1، ج2؛ 1995م، ص: 13.

6-كمال بوشامة، الجزائر أرض العقيدة والثقافة، ترجمة : محمد المعراجي، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م، ص : 251.

7- ومن ضمن ما ترجم لأبي مدين : الأعلام، ص: 165، سير أعلام النبلاء، ص: 219، الزركلي، ص: 166، أعلام مشاهير الصوفية، ص: 206، الوافي للوفيات، ص: 95، توشيح الديباج، ص: 89، نيل الابتهاج، ص: 193، باقة السوسان، ص: 464، التشوف، ص: 319؛ البستان، ص: 108، شجرة النور، ص: 07، تلمسان العهد الزياني، ج2، ص: 384، بغية الرواد، ص: 125، تعريف الخلف، ج2، ص: 172، الذيل والتكملة، ص: 127، نفح الطيب، ج7، ص:136 .

1-2-نشأته:

لقد نشأ سيدي بومدين في إشبيلية، يتيما وفي أسرة فقيرة، كل ما تملكه من تراث هو العلم والتدين، وكانت هذه هي المكونات الأولى لشخصيته، ومن ورائها تكمن فطرة زكية، حبتها العناية باستعداد قوي للمضي في درب الولاية.[1]

فعن محمد بن إبراهيم بن محمد الأنصاري[2]، قال: «سمعت أبا مدين يحدث ببدء أمره ويقول: كنت يتيما، فجعلني إخوتي راعيا لهم لمواشيهم، فإذا رأيت من يصلي أو من يقرأ القرآن أعجبني ودنوت منه، وأجد في نفسي غما لأنني لا أحفظ شيئا من القرآن، ولا أعرف كيف أصلي، فقويت عزيمتي على الفرار لأتعلم القراءة والصلاة...»

لما فر الشيخ لحقه أخوه وبيده حربة، فطلب منه الرجوع وهدده بالقتل إن لم يفعل ذلك، فما كان على الشيخ إلا الرجوع، ولكن عزيمته بقيت على حالها، إذ تحدى كل الصعاب وقرر الفرار في الليل، وفي طريق آخر غير الذي سلكه في المرة الأولى، ولكن أخاه أدركه بعد طلوع الفجر، فسل سيفه مخاطبا إياه: «والله لأقتلنك وأستريح منك...»، وحسب رواية محمد بن إبراهيم أن الشيخ أبا مدين قال: «لما علاني بسيفه ليضربني تلقيته بعود كان بيدي، فانكسر سيفه وتطاير قطعا فلما رأى ذلك قال لي: يا أخي اذهب حيث شئت»[3]

فسار الشيخ ومضى في الطريق الذي لم يخلق إلا له، وهو طريق العلم والولاية، فخرج من الأندلس وتوجه إلى منطقة المغرب الإسلامي، حيث يقول: «فذهبت إلى البحر وعبرت إلى طنجة،

1- جودة محمد أبو اليزيد المهدي، بحار الولاية المحمدية، المرجع السابق، ص: 428.

2 - محمد بن إبراهيم الأنصاري: هو من أصحاب الشيخ أبي مدين، وهو من كبار تلامذته وكثير الرواية عنه.

أنظر: ابن قنفذ القسطنطيني، أنس الفقير وعز الحقير، تص: محمد الفاسي، أدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، ص: 37.

3- أبي يعقوب يوسف بن يحي التادلي، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تح: أحمد توفيق، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، ط2؛ 1979، ص: 320.

ثم ذهبت إلى سبتة، فكنت أجيرا للصيادين، ثم ذهبت إلى مراكش فدخلتها، وأدخلني الأندلس معهم في جملة الأجناد، فكانوا يأكلون عطائي ولا يعطونني منه إلا اليسير»[1]

2- رحلاته العلمية وأهم شيوخه

اتجه الشيخ أبو مدين إلى المغرب بعد خروجه من الأندلس، فعبر المضيق إلى طنجة[2] ثم إلى سبتة[3]، فاحترف مع الصيادين طلبا للعيش، ثم دخل إلى مراكش[4]، حيث أدخلوه أيضا الأندلس في جملة الأجناد، فأشار إليه أحدهم حسب قول أبي مدين:" قلت لبعضهم إنما جئت للقراءة.... " فقيل لي: "...إن رأيت أن تتفرغ لدينك فعليك بمدينة فاس ...".

وكانت هذه المدينة هي الوجهة الأولى للمغرب، كما كانت للشيخ وجهة أخرى إلى المشرق، وكان القصد من هاته الرحلات، طلب العلم بالدرجة الأولى وكذا معرفة الطريق إلى الله.

2-1- طلبه للعلم بالمغرب:

بعد وصول أبي مدين إلى مدينة فاس، أخذ يبحث ويسأل عن مجالس العلماء والذاكرين وحلقات الشيوخ والواعظين والمرشدين، لكي يروي عطشه الفكري، ويزود عقله بالعلم والمعرفة، ظاهرا وباطنا، وصار ينتقل من حلقة إلى أخرى، ومن شيخ إلى شيخ، ومن عالم لآخر، حتى عثر على بغيته.[5]

وحكى بنفسه فقال: "...فتوجهت إليها ولزمت جامعها فتعلمت الوضوء والصلاة وكنت أجلس إلى حلق الفقهاء والمذكرين فلا أثبت على شيء من كلامهم إلى أن جلست إلى شيخ ثبت كلامه

1- العباس بن إبراهيم، الإعلام بمن حل مراكش و أغمات من الأعلام، تح: عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، (د-ط)، 1983، ص: 165.

2 - طنجة: مدينة أزلية وأرضها منسوبة إليها، وهي على جبل عالي، مطلة على البحر، وسكن أهلها منه في مسند الجبل إلى ضفة البحر، وهي مدينة حسنة لها أسواق .- أنظر : عبدا الله الشريف الإدريسي، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، المصدر نفسه، ص: 249.

3 - سبتة: فهي تقابل الجزيرة الخضراء وهي سبعة جبال صغيرة متصلة ببعضها البعض، معمورة طولها من المغرب إلى المشرق ويتصل ا من جهة المغرب، وعلى ميلان منها جبل موسى وهو منسوب لموش بن نصير، الإدريسي، المصدر نفسه، ص: 247.

4 - مراكش: في مدينة عظيمة في بسيط من الأرض، أسسها يوسف بن تاشفين سنة 459هـ، طيبة التربة، بينها وبين درنة نحو 20 ميل. – أنظر: الاستبصار في عجائب الأمصار، تعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار الثقافة العامة، العراق، ص،ص: 23-24.

5- يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ج2، 1995م، ص:14.

في قلبي، فسألت من هو؟ فقيل: " أبو الحسن بن حرزهم " فأخبرته أني لا أحفظ إلا ما سمعته عنه خاصة، فقال لي: «هؤلاء يتكلمون بأطراف ألسنتهم فلا يجاوز كلامهم الأذان، وقصدت الله بكلامي فيخرج من القلب ويدخل القلب».[1]

2-2- اتصاله بأبي الحسن علي بن إسماعيل:

هذا الشيخ الذي تفتح له قلب أبي مدين، وكان تعليمه أول شمعة أضاءت في حياته العلمية، حيث كان أبو الحسن[2] متمكنا من علوم القوم، وقد كان الأولياء يحضرون مجلسه، ولقد ورث مالا كثيرا فصرفه كله في وجوه الخير[3]

مما يشهد عليه أنه كان عالما، زاهدا، حيث تتلمذ على يد عمه أبي صالح بن حرزهم، الذي تعرف على الإمام أبي حامد الغزالي بالمشرق، وعلى أبي الفضل يوسف بن محمد الحمادي بن النحوي، والذي عرف بمعارضته الفقهاء الذين أشاروا على الأمير المرابط علي بن يوسف بن تاشفين، بأن يحرق إحياء علوم الدين للغزالي، وأفتوا بتحريم قراءته بين الناس، وبا يار دولة المرابطين، عاد كتاب إحياء علوم الدين إلى الظهور والتداول، لدى الأسر وفي ربوع بلاد المغرب والأندلس.[4]

تأثر أبو مدين بأبي الحسن تأثرا كبيرا، فلازمه مدة من الزمن في فاس، وانكب على تحصيل العلوم والمعارف منه في أوقات دروسه، وفي نفس الوقت أخذ يعمل ناسخا للكتاب لدى الناسخين حتى يحصل على ما يعيل به نفسه، ويقيم أوده، ويصلح شؤونه المادية، فبقي الشيخ

1- أبو يعقوب يوسف يحي التادلي، المصدر السابق، ص: 320.

2 - أبو الحسن علي بن إسماعيل: هو الشيخ أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن حرزهم بن زيان بن يونس بن سومران بن حفص بن الحسن بن محمد بن عبد الله بن عمر بن عثمان بن عفان صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان رحمه الله خيرا فاضلا دينا ورعا زاهدا متقشفا سالكا لطريق الملامتية، ولم يكن يعرف ذلك الطريق بالمغرب ، فكان أهل البلد ينكرون عليه بعض أحواله، ولكن لصدقه كانت القلوب مائلة إليه، توفي في أخريات شعبان 559هـ . -أنظر : أبي عبد الله محمد بن عيشون الشراط، الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس، دراسة وتحقيق، زهراء النظام، منشورات كلية الآداب بالرباط، 1987م، ط1، ص،ص:50¡58.

3- عبد الحليم محمود، شيخ الشيوخ أبو مدين الغوث، حياته ومعراجه إلى الله، دار المعارف، القاهرة، 1958م، ص:38.

4- يحي بوعزيز، أعلام الفكر في الجزائر المحروسة،ج1 ،المرجع السابق، ص:14.

ملازما ومثابرا في طلب العلم حتى توفي شيخه ابن حرزهم، الذي دفن قرب عين سيدي حرازم الواقعة بمدينة فاس.[1]

2-3- اتصاله بأبي الحسن ابن غالب:

بعد وفاة ابن حرزهم، لقي الشيخ أبا مدين في مدينة فاس، الأخيار والأشياخ، فقرأ على أبي الحسن بن غالب فقيه مدينة فاس، ودرس كتاب السنن في الحديث للإمام الترميذي وهو كتاب ضخم في أحاديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فيه نور الحديث النبوي وفيه التحري البالغ في صحة الأحاديث عن الإمام الترمذي، وهو حد كاف في أن يرفع الإنسان في العلم الإسلامي إلى درجة رفيعة.[2]

كما درس الشيخ علوما أخرى على أبي الحسن بن غالب[3]، حتى توفي هو الآخر عام 592هـ /1196م ودفن بمدينة القصر الكبير.[4]

قال أبو مدين: «...كنت إذا سمعت تفسير آية من كتاب الله ومعه حديث واحد من أحاديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قنعت ا، وانصرفت إلى الخارج بموضع خال من الناس، أتخذه مأوى للعمل بما يفتح علي من الآية والحديث، ثم أعود إلى فاس، فآخذ آية وحديثا فأعمل عليها ثم سمعت الناس يتحدثون بكرامات أبي يعزي، فذهبت إليه في جماعة ذهبت لزيارته...»[5]

1- يحي بن بوعزيز، أعلام الفكر،ج1 ، المرجع السابق، ص:15.

2- عبد الحليم محمود، المرجع السابق، ص:37.

3 - أبي الحسن بن غالب: هو أبو الحسن بن علي بن غالب القرشي، نشأ بسبتة، وقرأ بقرطبة، واستقر أخيرا بقصر كتامة (القصر الكبير في شمال المغرب) وبه مات 560هـ، ويقال عام 573هـ.

- أنظر: ابن الزيات، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، المصدر نفسه، ص:228.

4- أحمد بن القاضي المكناسي، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، د.ط، 1974، ص:531.

5- عبد الله التليدي، المطرب بمشاهير أولياء المغرب، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط4، 2003، ص:65.

2-4- اتصاله بأبي يعزي:

بعد أن تلقى أبا مدين ما تيسر له من العلم، من قرآن وأحاديث نبوية، من الشيخ العارف " أبو الحسن بن محمد بن عبدا الله بن حرزهم"، تاقت نفسه لرؤية الشيخ أبي يعزي[1]، والذي قال عنه سيدي بومدين: «كانت أخباره ترد علي، وكراماته يتداولها الناس، وتنقل إلي، فملأ قلبي حبه فقصدته مع جماعة الفقراء.[2]

فلما وصلنا أقبل على القوم دوني، وأحضر الطعام فمنعني من الأكل معهم، فإذا حضر الطعام وقمت إليه انتهرني، فأقول في نفسي: هؤلاء من هذه العدوة، أقبل عليهم وأنا أندلسي، فأقمت كذلك ثلاثة أيام وقد أجهدني الجوع والذل، ثم قلت في نفسي: إذا قام الشيخ من مكانه أمرغ وجهي في ذلك المكان، فقام ومرغت وجهي فلما رفعت رأسي لم أبصر شيئا. فبقيت أبكي طوال ليلتي ».[3]

قليل لمثلي زفـرة ونحيـ ـ ـب * * * وليس له إلا الحبيب طبيـب

وأمثل ما يلقي المحب خضوعه * * * إذا كان من يدعوه ليس يجيب

فلما أصبح الصباح استدعاني الشيخ وقال: اقترب يا أندلسي!

فدنوت منه وقمت لا أبصر شيئا، فمسح بيده على عيني فعاد بصري، ثم مسح بيده على صدري وقال للحاضرين هذا يكون ابن كذا وكذا...»[4]

---

[1] - أبي يعزي: يلنور بن ميمون، اسم والده يعزي ومعنى إعزى: العزيز وإيلا النور معناه: ذو النور وذو الحظ، ويعود أصله إهزميرة إيروجان، وقيل من بني صبيح، من هسكورة، مات وقد أناف على مائة سنة بنحو 30 سنة، ودفن بجبل إيروجان في أول شهر شوال عام 572هـ، وكان قطب عصره وأعج به ظهره.-أنظر: ابن الزيات، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، المصدر نفسه، ص،ص: 213¡214.، أنظر أيضا:جمال أحمد طه مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين،ص:297.

[2] - أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، مجلد7، ص: 138.

[3] - أبي العباس، أحمد الخطيب (ابن قنفذ القسطنطيني)، أنس الفقير وعز الحقير، تص: محمد الفاسي، أدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، ص:15.

[4] - أبي العباس أحمد الخطيب بن قنفذ القسطنطيني، المصدر نفسه، ص:15.

كما ورد عن يوسف بن يحي التادلي «...قال للحاضرين: هذا يكون له شأن عظيم...»[1] فنال أبو مدين من بركاته، وشاهد العجائب من كراماته، وهكذا كان الشيخ أبو مدين يتردد إلى مجالس العلماء في مدينة فاس، حتى فتح الله عليه بالمواهب العلية والأسرار الربانية، وحقق التوجه والعمل، وبلغ مقامه الأمل.

3- طلبه للعلم بالمشرق:

بعد إقامة طويلة بفاس لطلب العلم والمعرفة، وبعد أن تحصل أبو مدين شعيب على ما يريده من علوم الظاهر والباطن من شيوخه الأجلاء، أمثال: ابن حرزهم، وابن غالب، وأبي يعزى، وأبي عبد الله الدقاق السجلماسي الأصل، تاقت نفسه لأداء فريضة الحج وزيارة بيت الله الحرام وقبر الرسول محمد عليه الصلاة والسلام، فاتصل بشيخه أبي يعزى، واستأذنه في ذلك، فسرحه وغادر المغرب إلى المشرق.[2]

3-1- اتصاله بالشيخ عبد القادر الجيلاني[3]:

لم تتطرق المصادر والمراجع إلى تحديد الفترة أو السنة التي غادر فيها أبو مدين المغرب نحو المشرق، كما لم تحدثنا المصادر عن الوسيلة التي سافر ا، برا أو بحرا، وعن المدن والبلدان التي مر ا في طريقه إلى المشرق، ويرجح يحي بو عزيز أنه مر بالجزائر وتونس وليبيا ومصر، وعندما وصل إلى الحجاز التقى بالشيخ أبي صالح عبد القادر الجيلاني (أو الكيلاني)، بجبل عرفات وتعرف عليه،

1-أبي العباس أحمد الخطيب ابن القنفذ القسطنطيني المصدر السابق، ص: 321.

2 -يحي بوعزيز، مدينة وهران عبر التاريخ ويليه مدينة تلمسان عاصمة المغرب الأوسط ويليه المساجد العتيقة، دار البصائر للنشر والتوزيع ،الجزائر، 2009، ص،ص: 66¡67.

3 - عبد القادر الجيلاني: هو أبو صالح سيدي عبد القادر الجيلاني موسى بن عبد الله بن يحي الزاهد بن داود بن موسى الجون بن عبد الله المحضي بن الحسن المثنى بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أجمعين. ولد سنة 470هـ وتوفي سنة 561هـ ودفن ببغداد. أنظر: عبد المنعم الجعفري، مشاهير أعلام الصوفية،ص: 154. ،أنظر أيضا: ابن العماد،شذرات الذهب، ج6، ص:331 .

وكان ذلك ما بين سنة 550هـ-555هـ، وهذا حسب رواية كل من يحي بوعزيز[1] وعبد القادر الخلادي[2]

وبعد اتصاله به، لازمه الشيخ أبو مدين بعض الوقت في الحرم الشريف بمكة، ودرس عنه علم الحديث، وعلم التصوف، وتحصل منه على خرقة صوفية[3].

وأودعه كثيرا من أسراره، وحلاه بملابس أنواره، فكان أبو مدين يفتخر بصحبته ويعده أفضل مشايخه الكبار، فضلا أنه قد أخذ عن أعلام العلماء واستفاد من الزهاد والأولياء[4]، وكانت هذه الرحلة قد دامت أكثر من عقدين من الزمن.[5]

4- ثناء الأكابر والعلماء عليه:

أصبح أبو مدين شيخا يقدره العلماء ويقدره المؤرخون، لما توافر له من العلم والتزكية، حيث ترجم له جماعة من الأعلام والمؤرخين، وحلوه بأوسمة رائقة ونذكر بعض تقديرا م:

4-1- محي الدين ابن عربي:[6]

يضع الشيخ أبا مدين في م لة عالية، يعز بلوغها على من رامها، ويسميه شيخ الشيوخ، وهذه كلمات تبين مدى تقدير ابن عربي لأبي مدين، حيث يقول: "شيخنا أبو مدين من الثمانية عشر نفسا الظاهرين بأمر الله عن أمر الله، لا يرون سوى الله في الأكوان".[7]

1- يحي بوعزيز،مدينة وهران، المرجع السابق، ص: 66.

2- عبد القادر الخلادي: «أبو مدين الغوث دفين تلمسان، 520-594هـ/1126-1197م »: الأصالة ،العدد 26، رجب-شعبان 1395هـ ،جويلية-أوت 1975م ، ص: 290.

3- ابن مريم الشريف المليتي المديوني التلمساني، البستان في ذكر الأولياء، المصدر السابق، ص: 110.

4- ابن مريم، المصدر نفسه، ص: 110.

5- يحي بوعزيز،أعلام الفكر،ج1، المرجع السابق، ص: 17.

6-هو محي الدين محمد بن علي بن محمد بن عربي الحاتمي الطائي الأندلسي، لقب بالشيخ الأكبر وهو ينسب إليه مذهب باسم الأكبرية ولد بمرسيه بالأندلس في رمضان عام 558هـ - الموافق ل1146م قبل وفاة الشيخ عبد القادر الجيلاني بعامين، وتوفي بدمشق عام 638 هـ الموافق ل1240م ودفن في سفح قاسيون، من أهم مؤلفاته: الفتوحات المكية، ترجمان الأشواق، محاضرة الأبرار، تفسير القرآن، فصوص الحكم، إنشاء الدوائر. أنظر :عبد الغني بن محمد، الإسهامات العلمية للحضارة الاسلامية ، العلماء المسلمون، إسهاما م العلمية ومؤلفا م، دار البحار للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، ص،ص : 100-101 . أنظر ترجمته أيضا : كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية ،ص: 333. ، تاريخ الفكر الأندلسي، ص-ص: 371-385.

7- عبد الحليم محمود، شيخ الشيوخ أبو مدين الغوث، حياته ومعراجه إلى الله، دار المعارف، القاهرة، 1958م، ص: 135.

وقال في موضع آخر:" شيخنا أبو مدين رضي الله عنه الغالب على قلبه وبصره مشاهدة الحق في كل شيء فكل حال عنده أعمال، فتعلن بالصدقة كما يذكره في الملأ، فإن من ذكره في الملأ فقد ذكره في نفسه، فإن ذكر النفس متقدم بلا شك، وما كل من ذكره في نفسه ذكره في الملأ، فهذه حالة زائدة على الذكر النفسي، لها مرتبة تفوق صاحب ذكر النفس، لا يطلع عليه في الحالين، فهو سر بكل وجه، فصدقة الإعلان تؤذن بالاقتدار الإلهي، فمن يخفيها أو يسرها هو الظاهر في المظاهر الإمكانية، فهذه كانت طريقة شيخنا، وكان يقول: «قل الله ثم ذرهم» «أغير الله تدعون».[1]

4-2- الإمام الشعراني[2]:

كان له عدة كلمات في تقدير أبي مدين، حيث قال: «الشيخ أبو مدين المغربي رضي الله عنه ورحمه، هو من أعيان مشايخ المغرب وصدور المربين، وشهرته تغني عن تعريفه، واسمه شعيب فقد أجمع المشايخ على تعظيمه وإجلاله، وتأدبوا بين يديه، وكان ظريفا جميلا متواضعا، زاهدا وورعا محققا، مشتملا على كرم الأخلاق...»[3]، ويقول ابن عماد في كتابه شذرات الذهب : «أبو مدين الأندلسي الزاهد العارف، شيخ أهل المغرب كان من أهل العمل والاجتهاد، منقطع القرين في العبادة والنسك، بعيد الصيت ويسميه الشيخ محي الدين بن عربي بشيخ الشيوخ، نشر

1- عبد الحليم محمود، المرجع السابق، ص: 136.

2 - الشعراني: ولد الإمام الشعراني سنة 899هـ ببلدة قلقشدة بإقليم قيلوبية من أصل شريف ينتمي إلى الدوحة العلوية الهاشمية فهو أبو المواهب سيدي عبد الوهاب بن الشيخ أحمد بن الشيخ على بن الشيح أحمد بن الشيخ محمد بن الشيخ موسى بن السلطان فاشين، بن السلطان محي الدين بن السلطان زوفا بن السلطان ريان بن السلطان محمد بن السيد موسى بن سيدي محمد بن الحنيفة بن سيدنا علي رضي الله عنه، وترجع تسميته بالشعراني لانتسابه إلى قرية ساقية بني الشعرة.

أنظر: جودة محمد أبو اليزيد المهدي، المرجع السابق، ص: 569.

3- عبد الحليم محمود، المرجع السابق، ص: 139.

الله ذكره وتخرج به جماعة من الفضلاء كأبي عبد الله القرشي وغيره، وانتهى إليه كثير من العلماء المحققين وفضلاء الصالحين كابن عربي، وله في الحقائق كلام واسع.[1]

ويقول محمد بن محمد مخلوف[2]: «ولي الله أبو مدين شعيب بن حسن الأندلسي البجائي، شيخ المشايخ، وسيد العارفين وقدوة السالكين، شيخ الطريقة جمع الله له علم الشريعة والحقيقة، كان من الفضلاء، وأعلام العلماء، ومن حفاظ الحديث خصوصا الترمذي، وكان يقوم عليه، وكانت ترد عليه الفتاوى في مذهب الإمام مالك رضي الله عنه، فيجيب عنها في الوقت، مناقبه شهيرة وكرماته كثيرة، أخذ عن الحافظين أبي الحسن بن حرزهم، وأبي الحسن بن غالب والشيخ أبي يعزى...»

ذكر الشيخ أبو الصبر أيوب بن عبد الله الفهري فقال: «كان زاهدا، فاضلا عارفا بالله تعالى، قد خاض من الأحوال بحارا، ونال من المعارف أسرار، وخصوصا مقام التوكل، لا يشق فيه غباره، ولا تجهل آثاره، وكان مبسوطا بالعلم، مقبوضا بالمراقبة، كثير الالتفات بقلبه إلى الله تعالى، حتى ختم الله له بذلك.[3]وسئل رضي الله عنه عما خصه الله تعالى به فقال:« مقامي العبودية، وعلومي الألوهية، وصفاتي مستمدة من الصفات الربانية، ملئت علومه سري وجهري، وأضاءت بنوره بري وبحري، فالمر-اقب من كان به عليما، ولا يسمو إلا من أوتي قلبا سليما، الذي يسلم مما سواه ولا يكون في الوعاء إلى ما جعل فيه مولاه، فقلب العارف يسرح في الملكوت بلا شك، وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب».[4]

1- محمد العكري الحنبلي الدمشقي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: عبد القادر الأرناؤوط وآخرون، دار ابن كثير، بيروت، ج6، ط1، 1410هـ/1989م، ص: 549.

2- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، 1349هـ، ص: 64.

3- أبي القاسم محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة فونتانا الشرقية في الجزائر، الجزائر، 1906م، ص: 172.

4- محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، تح : شريف محمد حمزة بن علي الكتاني، ص: 415.

كان رضي الله عنه فردا من أفراد الرجال، وصدرا من صدور الأولياء الأبدال، جمع الله له علم الشريعة والحقيقة، وأنار به معالم هذه الطريقة، وأقامه ركنا من أركان الوجود، وأظهره بالبلاد المغربية، هاديا وداعيا الخلق للملك المعبود، واشتهر بشيخ المشايخ في جميع الأمصار.[1]

وقال الشيخ الغبريني: هو الشيخ المحقق الواصل القطب، شيخ مشايخ الإسلام في عصره، إمام العباد والزهاد، وخاصة الخلصاء من فضلاء العباد سيدي أبو مدين شعيب بن الحسن الأندلسي، فتح الله عليه بمواهب قلبية وأسرار ربانية استفادها بالتوجه والعمل، وارتقى إلى غاية ما يؤمل، كان الشيخ أبو يعزى رحمه الله تعالى يثني عليه ويشكره.[2]

نقلا عن العباس بن إبراهيم في كتابه الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام قال: هذا الشيخ من أعيان مشايخ المغرب وصدور المقربين، وعظماء العارفين، وأئمة المحققين، صاحب الكرامات الخارقة، والأفعال الظاهرة، والأحوال الغزيرة والمقامات العالية، والهمم السامية، صاحب الفتح السني، والكشف الجلي والحقائق النفيسة، والمعارف الجليلة، له التصدر في مراتب القرب، والتقدم في منازل القدس، والسبق في طرق الملكوت، والترقي في معارج الوصل، وله اليد البيضاء في أحكام الولاية، فهو أحد أوتاد المغرب، وهو أحد من أظهره الله تعالى للوجود، وأظهر على يده العجائب، وأنطقه بفنون الحكم،وأوقع له القبول العظيم والهيبة الوافرة في قلوب الخلق، وهو أحد من جمع الله بين علمي الشريعة والحقيقة.[3]

كان أحد عباد الله الصالحين المخلصين، ممن أجرى الله الحكم على لسانه، بما قذف في قلبه من أسرار توفيقية، وأفاض عليه من أنوار هدايته، وكان معرضا عن التكسب زاهدا في الدنيا،

1- عبد الله محمد بن محمد (ابن مريم الشريف المليتي المديوني التلمساني)، مراجعة : محمد ابن أبي شنب، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908م، ص: 111.

2- أحمد بن عبد الله الغبريني، عنوان الدراية في من عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، دار البصائر للتوزيع والنشر، الجزائر،ط1 2007م،ص:07.

3- العباس بن إبراهيم، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، تح: عبد الوهاب بن منصور، المصدر السابق، ج10، ص، ص: 174؛ 175.

مبسوطا بالعلم، مقبوضا بالمراقبة، مبررا في مقام التوكل لا يكاد يعدل به أحد من أهل زمانه فيه، عامر القلب بمراقبة الله تعالى وخشيته، رطب اللسان، حيث قطع كثيرا من عمره في السياحة.[1]

ويقول عنه ابن قنفذ القسطنطيني: « نال من الزهد والتحقيق منالا سنيا تبعه فيه المتقون، واقتدى به المحققون ولازمه المصدقون »[2].

5-أثار الشيخ أبي مدين:

باعتبار الشيخ أبي مدين شيخ المشايخ، وإمام عصره، خلف العديد من الآثار، تمثلت في مجموعة من المؤلفات وبعض الرسائل، إضافة إلى نظم وقصائد شعرية، وحكم، وخطب دينية.

5-1- مؤلفاته:

كان له مؤلفات أهمها:

-كتاب حرز الأقسام: هذا الكتاب محفوظ في مكتبة بايزيد بإسطنبول تحت عدد 253 ومنه نسخة خطية أخرى بالمكتبة السليمانية بإسطنبول، محفوظ تحت عدد 398[3]، وله أيضا:

- ديوان أبي مدين: يحتوي هذا الديوان على شعر صوفي، طبع بدمشق عام 1357 هـ - 1838م، جمع ورتب هذا الديوان الشيخ العربي الشوار، واعتن بنشره نجله الشيخ محمد الشوار.

- كتاب أنس الوحيد ونزهة المريد في الترحيب: يعتبر من التصانيف التي خلفها الشيخ أبي مدين، حيث طبع هذا الكتاب في مصر عام 1300هـ- 1383م [4].

- كتاب مفاتيح الغيب لإزالة الريب وستر العيب . [5]

1- عبد الملك الأنصاري الأوس المراكشي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة (السفر الرابع)، تح: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ج4؛ ص: 128.

2- ابن القنفذ القسطنطيني، أنس الفقير وعز الحقير، تص، محمد الفاسي، أدولف فور، المصدر السابق، ص: 79.

3- العباس بن إبراهيم، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، المصدر نفسه، ص: 178.

4- الحاج محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص: 464 .

5- خير الدين الزركلي، الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعمرين والمستشرقين)، دار العلم للملايين، بيروت، ج3؛ ط15؛؛2002م، ص: 166.

كما أن للشيخ رحمه الله تعالى عدة رسائل من أهمها:

-رسالة في التصوف: محفوظة تحت رقم 1810، و ا رسالة اسمها حكم أبي مدين، وهي الأخرى محفوظة تحت رقم 613 [1] وله رسالة أخرى كانت جوابا لكتاب عبد العزيز، والذي كان أميا وله الكتابة الحسنة والشعر الفائق، حيث كتب لأبي مدين كتابا احتوى على أبيات منها

شعيب ولي الله ســـر عبـــاده *** أبو مدين مغني الأنام بفخـره

فيا جنة المأوى ويا علم الهــــدى *** ويا ناشرا علم الإله بأمـــره

حضرت ولم تحضر وغبت ولم تغب *** وما كنت في كل بجانب طوره

فنورك نور الله يهدي لـــه وهـل *** إلى أحد في الناس إطفاء نوره[2]

كتب إليه الشيخ رحمه الله جوابا من فصوله: «أما بعد فإنه من اتقى الله سبحانه وتعالى وقاه، ومن توكل عليه حق التوكل كفاه، ومن استعاذ به نجاه، ومن شكره والاه، ومن أقرضه جازاه، واجعل التقوى عماد قلبك وجلاء بصرك، فإنه لا عمل لمن لا نية له، ولا أجر لمن لا خشية له.

ورأيتك في النوم وأنت تقول لي:

" إن كنت تريد بسلامك علي الدنيا، فلا تسلم علي ولا نسلم عليك، وإن كنت تريد الآخرة فسلامك يبلغني، وإن كنت لم تكاتبني، وسلامي يبلغك وإن لم أكاتبك، فزال عن قلبي ما كنت أجده من القبض، فالله سبحانه لا يقطعك عني يقظة ولا نوما والسلام»[3]

1- العباس بن إبراهيم،الإعلام بمن حل مراكش ، المصدر السابق، ص: 178.

2- ابن قنفذ القسطنطيني، أنس الفقير وعز الحقير، المصدر السابق، ص، ص: 98؛ 99.

3- المصدر نفسه، ص،ص: 99؛ 100.

5-2- نظم وقصائد شعرية:

وقد تمثلت هذه النظم والقصائد فيما يلي:

- قصيدة الجوهر (باريس 5320، مقصورة الجوهر 1476هـ).
- استغفار منظوم (خم 8832/برلين).
- قصيدة مع تخميس لمحي الدين بن عربي الحاتمي (ملحق المتحف البريطاني 1236).
- قصيدة في آداب الصحبة منها:

ما لذة العيش إلا صحبة الفقرا

هم السلاطين والسادات والأمر فاصحبهم

و تأدب في مجالسهم و خلي حظك مهما قدموك ورا

ولازم الصمت إلا إن سئلت فقـ ـل

لا علم عندي و كـن بـالجهل مستتـ ـ ـ ـ ـرا

ولا ترى العيب إلا فيك معتقـ ـ ـدا

عيبا بـدا بينـ ـا لكنـ ـه استتـ ـ ـ ـ ـرا

- قصيدتان في التصوف:

أولاهما في **29** بيتا مطلعها:

أيا من تعالى مجده فتكبر * * * وجل جلالا قدره أن يقـ ـ ـ ـدر

تضيق بنا الدنيا إذا غاب عنا * * * وتذهب بالأشواق أرواحنا منا[1]

وله شعر صوفي أيضا وأهم ما قيل فيه:

بكت السحاب فأضحكت لبكائه * * * زهر الرياض وفاضت الأنـهـ ـار

1- عبد العزيز بن عبد الله، معلمة التصوف الإسلامي، دار النشر، المعرفة، الرباط، 2001م، ج2، ط1، ص، ص: 46؛ 47.

وقد أقبلت شمس النهار بحلـ ـ ـة *** خضرا وفي أسرارها أسـ ـ ـ ـرار

وأتى الربيع بخيله وجنـ ـ ـ ـوده *** فتمتعن في حسـ ـنه الأبصـ ـ ـار

والورد نادى بالورود إلى الجـ ـنا *** فتسابق الأطيار والأشجـ ـ ـار

والكأس ترقص والعقار تعشعشت *** والجو يضحك والحبيب يـ ـزار[1]

ولأبي مدين قصائد أخرى أهمها هذه القصيدة بعنوان:

غيثية الشيخ أبي مدين

باسم الإله نبتدئ الغوثيـ ـ ـة *** مصليـا مسلمـا بـالنـيـ ـة

على النبي الطاهر المقبـ ـ ـول *** محمـد عونا على المأمـ ـول

لما رأيت الحال ضاق واتضـ ـح *** واشتعل الحرب لوجه و انفتـح

وافترس العدو القلب و اقتـرح *** وظهر الغلب علـي واتضـح

إذ ذاك بـ ـالفريجة نطقـت *** لجـ ـر ذار الوجـد ثم قلـت

فلما بان الفجر مني و المـ ـلل *** و بعد الصبـر وحلـة الحيـل

ندين غوثا يال حـ ـ ـزب الله *** أنفا لبس بالعلم والـ ـ ـ ـجاه

يال النبيين ويال المرسليـ ـ ـن *** غوثا ويال بدريا حتمات السائلين

يال التصرف وذا البرهـ ـ ـان *** غوثا ويال يبعث الرضـ ـ ـوان

يا خلفا و يا تمام العشـ ـ ـرة *** يال عيون الخلق يال الصفـ ـ ـرة

يال الإغاثة ويال التابعيـ ـ ـن *** يال رجال الله يال المانعـ ـ ـ ـين

يا غوث يا أستاذ يا عين الولات *** غثني إنني في عين المهلـ ـ ـ ـكات

نفسي وذنبي ثم إبليس الرجيـم *** مع احتياج قد رمون في الجحـ ـ ـيم

1- محمد المقري التلمساني، أزهار الرياض في أخبار عياض، تح : مصطفى السقا وآخرون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ج2¡1359 هـ ، 1940م ، ج2 ، ص : 308.

سألتكم بالله فانصر الحزيـ ـن * * * وفرجوا واهزموا جند العـ ـ ـ ـين

يا قطبا يا نجيا يا أوتـ ـ ـ ـاد * * * يا نقبا يا بدلا يا زهـ ـ ـ ـ ـ ـاد

يا فقهاء يا خطباء يا أمـ ـراء * * * يا بعين شرع سيد الـ ـ ـ ـورى

يا عدلا يا فـ ـ ـ ـ ـ ـ ـردا * * * يا من لهم في الكون شـ ـأن يزداد

يا من لهم تطوى بجوج الكـ ـون * * * يا سادتي بالله كوني عـ ـ ـ ـوني

يا معين الشرع والحقيقـ ـ ـة * * * يا سالكين مسلك الطـ ـ ـ ـريقة

بحقكم دلوني يا مـ ـ ـ ـوالي * * * ندهتكم كل على الـ ـ ـتـ ـوال

لأنني عن الطريق تالـ ـ ـ ـف * * * عبث خديمكم يا أهل المعـ ـ ـارف

يا أولياء الله طرا بـ ـ ـادروا * * * لنصرتي في كل وقت واحضـ ـ ـروا

كافي مغلوب وضاق حـ ـالي * * * كونوا شفيعا عند ذي الجـ ـ ـلال

عسى يمن بالرضا والقـ ـرب * * * وتوبة تمح جميع الذنـ ـ ـ ـ ـ ـ ـب

يا رجال الغوث والإغـ ـاثة * * * يا رجال الصبر والعفافـ ـ ـ ـ ـ ـة

ندهتكم من تحت أطباق الثرى * * * شفولي حالي وانظروا كيف جـ ـرى

يال التقى والدر يا أهل العـ ـدد * * *يال للنهى والنصر يا أهل المـ ـ ـ ـ ـدد

يـ ـال للتهجد ويا للأذكـ ـار * * * يال للتبتل ويال الأصهـ ـ ـ ـ ـار

الصائمون القائمون الخاشعـ ـون * * * الوراعون القانتون الواصلـ ـ ـون

التائبون العابدون الحامـ ـدون * * * السائحون الراكعون الساجـ ـدونيا

سادتي عبيدكم كايـ ـ ـب * * * وما له سواكم طـ ـيـ ـ ـ ـ ـ ـب[1]

قوموا معي لربي نحلي كـ ـربي * * * ويشفي قلبي من عيوب الذنب

---

[1] - معهد الثقافات والدراسات الشرقية، جامعة طوكيو، اليابان.

يصلح حالي بحلال الـ ـ ـرزق *** ويكتب اسمي في محل الصدق بالله
غوث يا رجال الحـ ـ ـ ـق *** لمذنب ذل ما بين الخلق ضاقت
مذاهب واشـ ـتـ ـدت الكـ ـرب *** وجئتكم حيران القلب ملتهب في
باعة الحوج وضـ ـاقت حملـ ـي *** حنوا علي بالغـ ـ ـنى والفضـ ـل
يا وارثون العلم يا أهل الحكـ ـم *** يال السخا والحلم يا أهل الكـ ـرم
يا سادتي عبيدكم عسيـ ـ ـر *** جـ ـد علـ ـي إننـ ـي فقيـ ـ ـر
إني سقيم القلب من ذوي العرج *** غيثـ ـوا العليـ ـل بدواء وفرج
يا رسول الله يال الأصحـ ـاب *** غيثوا الحزين واقفا على البـ ـاب(1)

5-3- حكمه:

ومما قاله الشيخ الإمام العارف بالله، الولي الصالح قطب العارفين، مرشد السالكين عمدة الأولياء وأحد الأصفياء سيدي بومدين الغوث:

- القرآن نزول وتـ يل، فالـ ول والتـ يل باقيان إلى يوم القيامة.
- الحق سبحانه مستبد الوجود، والوجود مستمد، والمادة من عين الوجود، فلو انقطعت المادة لا ا ـدم الوجود.
- لا يصلح لسماع هذا العلم إلا لمن حصلت له أربعة: الزهد، والعلم والتوكل، واليقين.
- الحق سبحانه مطلع على السرائر والظواهر في كل نفس وحال، فأيما قلب رآه مؤثرا له، حفظه من طوارق المحن ومضلات الفتن.
- إذا ظهر الحق لم يبق معه غيره.(2)
- عمرك نفس واحد فاحرص أن يكون لك لا عليك.

1- معهد الثقافات والدراسات الشرقية، المصدر السابق.
2- أبو عبد الواحد الأمين بو كليخة، حكم سيدي بومدين شعيب وبن عطاء الله، المصدر السابق، ص: 04.

- الحق سبحانه يجري على ألسنة علماء كل زمان بما يليق بأهله.
- من تحقق بالعبودية نظر أعماله بعين الرياء، وأحواله بأعين الدعوى، وأقواله بأعين الافتراء.
- ليس للقلب إلا وجهة واحدة، فمتى توجه عليها حجب عن غيرها، فإياك أن تميل إلى غير الله فيسلبك لذة مناجاته.
- البصيرة تحقق الانتفاع.
- من رزق حلاوة المناجاة زال عنه النوم.
- من عرف الله استفاد منه في اليقظة والمنام.
- أضر الأشياء صحبة عالم غافل، وصوفي جاهل، وواعظ مداهن. من رأيته يدعي مع الله حالا لا يكون على ظاهره شيء منه فاحذره.[1]
- من خرج إلى الخلق قبل وجود حقيقة تدعو إلى ذلك فهو مفتون.
- ما وصل إلى صريح الحرية من بقي عليه من نفسه بقية.
- من ضيع حكم وقته فهو جاهل، ومن قصر عنه فهو غافل.
- لا تعم عن نقصان نفسك فتطع.
- من تزين بزائل فهو مغرور.
- لا ينفع مع الكبر عمل، ولا يضر مع التواضع بطالة.[2]
- احرص أن تصبح وتمسي مسلما أو مؤمنا، لعله ينظر إليك فيرحمك.
- اجعل الصبر زادك والرضا مطيتك، والحق مقصدك ووجهتك.
- التسليم إرسال النفس في ميادين الأحكام وترك الشفقة عليها من الطوارق والآلام.
- اللهم فهمنا عنك فإننا لا نفهم عنك إلا بك.

1- أبو عبد الواحد الأمين بو كليخة، المصدر السابق، ص: 05.

2- المصدر نفسه، ص، ص: 05؛ 06.

- إن أقامك ثبت وإن قمت بنفسك سقطت.
- الخوف سوط يسوق ويعوق، يسوق إلى الطاعة ويعوق عن المعصية.
- السعيد من يئس من الفرح إلا من عند مولاه.
- أنفع العلوم العلم بأحكام العبودية، وارفع العلوم معرفة التوحيد.
- الحمية في الأبدان ترك المخالفة بالجوارح، والحمية في القلوب ترك الركون إلى الأغيار، والحمية في النفوس ترك الدعوى.
-أهل الصدق قليل في أهل الصلاح.
-جعل الله قلوب أهل الدنيا محلا للغفلة والوسواس، وقلوب العارفين مكانا للذكر والاستئناس.
-من أخلص لله في معاملته تخلص من الدعوى الكاذبة.[1]

4-5- الخطب الدينية:

تميز الشيخ أبا مدين بدروسه العلمية المقوية، حيث كان الناس يعجبون بفصاحته وكلامه المتجانس، وعليه كان يتم الاستماع إلى سيدي بومدين فوق منبر المسجد الكبير ببجاية « كان يظهر عليه رائعا حسب قول معاصريه، وخاصة عندما يسترسل بقامته العالية، ويضع يده اليمنى بصفة فاخرة فوق سيف الخشب، فيغرق الجمهور بالأمواج المتموجة من فصاحة كلامه المعطر مثل ماء السلسبيل أو التسنيم، تلك العيون العذبة للجنة، ولكن بقدر ما كان لطيفا ولذيذا عندما يصف عجائب جنات عدن، كان عنيفا عندما يصور لنا لوحة من يوم الحساب والأهوال المريعة لصقر نار جهنم»[2]

من خطبه الدينية هذه الخطبة التي تناولت موضوعا في سعة رحمة الله تعالى: «عباد الله لئن كانت ذنوبنا كثيرة، ومساوينا خطيرة، وسيئاتنا أربت عن الحصى، وموبقاتنا جلت عن العد

1- أبو عبدالواحد الأمين بوكليخة، المصدر السابق، ص: 06.
2- كمال بوشامة، الجزائر أرض عقيدة وثقافة، المرجع السابق، ص: 252.

والإحصاء، ولئن قلت في الصالحات أعمالنا، وطالت في الخبائث آمالنا، واتبعنا هوانا فظهرت منا القبائح وملك حب الدنيا منا القلوب الجوارح وشب حرصنا عليها، وطول أملنا زاد، وحان وقت الرحيل منها، ولا زاد، وران على قلوبنا سوء الاكتساب، وملئت صحائفنا بالكبائر وموجبات العذاب، فرحمة ربي تسع الجميع....." .

وتضمنت هذه الخطبة آيات بينات من الذكر الحكيم، وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، تدل على رحمة الله الواسعة، ومغفرته للتائبين والمستغفرين، وختمها بالدعاء للعامة والخاصة، وكذا الصلاة على النبي الكريم وعلى آله وصحبه الطاهرين.[1]

5- وفاته:

بعد أن استوطن سيدي بومدين بجاية، كان يفضلها على كثير من المدن، ويقول أ ا معينة على طلب الحلال، ولم يزل ا يزداد حاله رفعة على مر الليالي وترد عليه الوفود وذووا الحاجات إلى أن جاءت محنته مع السلطان الموحدي، حيث وشى به بعض علماء الظاهر عند يعقوب المنصور، وقال إنه يخاف منه على دولتكم، فإنه له شبها بالإمام المهدي، وأتباعه كثيرون في كل بلد، فبعث إليه في القدوم عليه ليختبره، وكتب لصاحب بجاية بالوصية والاعتناء به، وأن يحمله خير محمل، فلما أخذ في السفر شق على أصحابه وتغيروا وتكلموا معه فسكتهم، قال لهم:" إن منيتي قربت وبغير هذا المكان قدرت ولابد لي منه، وقد كبرت وضعفت، لا أقدر على الحركة، فبعث الله من يحملني إليه برفق، ويسوقني إليه أحسن سوق، وأنا لا أرى السلطان وهو لا يراني"، فطابت نفوسهم وذهب بؤسهم، وعلموا أنه من كراماته، فارتحلوا به على أحسن حال حتى وصلوا حوز تلمسان، فبدت رابطة العباد فقال لأصحابه:" ما أصلحه للرقاد".[2]

قال ابن قنفذ: سئل أبا مدين عن هذا المكان فقال: «مليح للرقاد» هكذا أخبرني الشيخ المسن الصالح العدل أبو عبد الله محمد البجائي من عدول تلمسان، وقال بعضهم أنه قال: «لا بأس

---

1 -كمال بوشامة، المرجع السابق، ص:252.

2- عبد الله محمد بن محمد، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، المصدر السابق، ص: 113.

بالنوم في هذا المكان». فمرض الشيخ مرض موته، وقال بعضهم أنه توفي بيسير، وهو واد قريب من تلمسان وحمل إلى العباد، فشرفت تلك البقعة بتربته، وهذا خاتمة كراماته. وقال أبو علي الصواف: «وسمعته عند الـ غ وهو يقول: الله! الله! الله! حتى رق صوته» وقال بعضهم: آخر ما سمع منه الحق، وقال بعضهم آخر ما سمع منه الله الحق وقال بعضهم آخر ما سمع منه الله الحي، قلت: وأيا ما كان فهي خاتمة حسنة ومرتبة علية مستحسنة، ظهر فيها صدق قول رسول الله صلى الله عليه وسلم «يموت المرء على ما عاش عليه».[1]

قد أجمعت جل المصادر والمراجع تاريخ ومكان وفاته[2]، حيث توفي رحمه الله تعالى سنة أربع وتسعين وخمسمائة 594 هـ، فحمل إلى العباد مدفن الأولياء الأوتاد، وسمع أهل تلمسان بجنازته، فكانت من المشاهد العظيمة، والمحافل الكريمة، وفي ذلك اليوم تاب الشيخ أبو علي عمر الحباك وعاقب الله تعالى السلطان فمات بعده بسنة أو أقل.[3]

1- ابن القنفذ القسطنطيني، أنس الفقير وعز الحقير، المصدر السابق، ص: 103.

2- وأهم تلك المصادر والمراجع:

1- جعفر بن إدريس الكتاني، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، تح: الشريف محمد حمزة بن علي الكتاني، الموسوعة الكتانية بتاريخ فاس، ص: 415.

2- ابن قنفذ القسطنطيني، أنس الفقير وعز الحقير، ص: 104.

3- عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي، الذيل والتكملة، السفر الرابع، 594هـ، ص: 130.

4- الزركلي، الأعلام، ج3، ص: 166.

5- أبو العباس أحمد بن خالج الناصري، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج2، ص: 189.

6- عبد الكبير بن مجذوب الفاسي، تذكرة المحسنين، ص: 594.

7- عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ص: 338.

8- الحاج محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان، ص: 464.

9- محمد بن محمد مخلوف، شجرة النور الزكية، ص: 164.

10- جمال أحمد طه، مدينة فاس، ص: 298.

11- عبد الحميد حاجيات، تلمسان كمركز الإشعاع الثقافي في المغرب الأوسط، مجلة الدراسات التاريخية، مجلة دورية، العدد العاشر، يصدرها معهد التاريخ بجامعة الجزائر،

12- عبد الحميد حاجيات "مساهمة المغرب العربي في ازدهار الحضارة العربية الاسلامية": الثقافة، العدد 81؛ 1404هـ، 1984م، ص: 57.

3- البستان، المصدر السابق، ص:111.

الفصل الثاني

عصر أبي مدين (520هـ/594هـ)

1-الأوضاع السياسية للمغرب الإسلامي

2-الأوضاع السياسية لبجاية

3-الأوضاع الفكرية والثقافية لبجاية

4- دور أبي مدين في المغرب والمشرق

1-الأوضاع السياسية للمغرب الإسلامي:

لقد عرفت منطقة المغرب الإسلامي مجموعة من الأحداث التاريخية والوقائع السياسية الهامة التي اعتبرها المؤرخون منعرجا هاما في التاريخ الإسلامي، وفي مقدمتها الدويلات الإسلامية في المغرب، ومن أبرزها دولتا المرابطين والموحدين اللتان عاصرهما الشيخ أبا مدين.

أ - دولة المرابطين 434هـ - / 1059م- 1147م:

قامت الدولة المرابطية على فكرة الرباط الشائعة في صدر الإسلام، خاصة في عهد الخلفاء الراشدين، والأمويين وصدر الدولة العباسية والرباط في العرف الإسلامي هو المكان الذي يتمركز فيه ا اهدون في حدود الدولة الإسلامية، للدفاع عنها، ضد أعدائه الكافرين، ولتنظيم غزوات، بقصد توسيع رقعة الدولة الإسلامية، ونشر الإسلام وإيصاله إلى الشعوب المختلفة [1]، وقد استمد معنى الرباط من قوله تعالى وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم [2] ومن قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون [3].

كان الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أول من أمر باتخاذ الرباطات في حدود بلاد الشام الشمالية على أطراف الدولة البيزنطية مثل: طرطوس، ومرعش، ومليطة، وجرى على نفس المنوال الأمويون والعباسيون ، ثم ظهرت الرباطات في الغرب الإسلامي هي كذلك، مثل: رباط الإسكندرية في مصر ورباط القيروان في تونس، وعندما ظهر المرابطون في المغرب الإسلامي، اتخذوا الرباط في البداية للتعبد، ونشر المبادئ الإسلامية الصحيحة، ومقاومة البدع والوثنية، ثم انطلقوا من رباطهم إلى باقي أنحاء المغرب للتوسع في حركة سياسية ناجحة.[4]

1- يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر (الجزائر القديمة والوسيطة)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ج1، ط2؛ 2009، ص: 173.

2 - سورة الأنفال، الآية رقم: 60.

3 - سورة آل عمران، الآية رقم: 200.

4- يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص ص: 173- 174.

يعود أصل المرابطين أو بالأحرى ينتمون إلى قبيلتي، لمتونة، وجدالة من فروع قبيلة صنهاجة البربرية الكبيرة، مثل: مسوفة، ولمطة، ومداسة، وتريكة [1].

لقد قامت الدولة المرابطية بفضل رجال وزعماء، وعظماء سياسيين، أشهرهم عبد الله بن ياسين[2] الذي نشر الإسلام، وقضى على القبائل الوثنية كما جاهد قبائل برغواطة التي كانت تدين بمذهب مخالف لتعاليم الإسلام الصحيحة، ابتدعه رجل يهودي يدعى صالح بن طريف الأندلسي منذ أوائل القرن الثاني للهجرة.

بعد دخول ابن ياسين والأمير أبو بكر في مواجهة معهم جرح ابن ياسين وتوفي متأثرا بجروحه، سنة 1059م وبعد وفاة هذا الأخير أي- عبد الله ابن ياسين – اختار المرابطون الأمير أبا بكر بن عمر اللمتوني رئيسا لهم ، والذي فتح بلاد فازار ومكناس، اللواتة، وعاقب المعارضين لحركة المرابطين [3]، ثم عاد إلى أغمات[4]، واستخلف مكانه ابن عمه يوسف بن تاشفين الذي أدخل معظم بلاد المغرب الأقصى ، الوسطى، الجنوبية.

تحت حكم المرابطين حقق بن تاشفين انتصارات فعزم على إنشاء قاعدة لجيشه واختار مكانا في شمال أغمات واشتراه، واختط به مسجدا، وقصبة عام 1062م، وكان ذلك نواة لمدينة مراكش الحالية في وسط بلاد مصامدة، وبالتالي يعتبر يوسف بن تاشفين اللمتوني الصنهاجي المؤسس الفعلي لدولة المرابطين بالمغرب الأقصى.

---

1 - يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص: 174.

2 - عبد الله بن ياسين، هو عبد الله بن ياسين المصمودي، الزعيم الأول للمرابطين، وجامع شملهم، وصاحب الدعوة الإصلاحية فيهم، امتد سلطانه في مناطق واسعة، قتله مجوس برغواطة سنة 451 هـ . أنظر: يوسف علي بدوي، عصر الدويلات الإسلامية في المغرب والمشرق من الميلاد إلى السقوط، دار الأصالة، الجزائر، ط1؛ 1431هـ - 2010م (ته)، ص: 138.

3- يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص: 199.

4 - أغمات: لفظ بربري يطلق على القرية البدائية التي تتألف من سور من طين أو قصب وفروع الشجر وتتخذها القبيلة التي تجعلها معتصما لنسائها وأطفالها، وحمى لمواشيها بالليل وفي أوقات الخطر والحروب، ومخزنا لسلاحها وأزوادها، وتسمى مثل هذه القرية البدائية في اللغات الأوربية باسم كرال (karaal) وتسمى في اللغة العربية باسم ا مع، أنظر: يوسف علي بدوي، المرجع السابق، ص: 142.

بعد إنشاء عاصمته واستكمال الجيش فتح بن تاشفين مدينة فاس عام 1063م، طنجة 1077م وسبتة، كما دخل المغرب الأوسط (الجزائر) وفتح العديد من الدول مثل: مليلة، وجدة، تلمسان، وهران، تنس، وبتلك الفتوحات والأعمال التي قام ا تلقب يوسف بن تاشفين بأمير المؤمنين وناصر الدين. [1]

انتقل يوسف بن تاشفين إلى الفتوحات الخارجية وأخذ على عاتقه فتح الأندلس حيث دعاه المعتمد أمير اشبيلية لنصرته على النصارى فتردد في الأول ثم اجتاز إلى الأندلس، وانتصر على الإسبانيين في مواقع عديدة، واستمر في الحرب وإياهم فاستطاع القضاء على ملوك الطوائف وإخضاع البلاد الأندلسية للحكم المرابطي المباشر [2]، وبعد أن أتم يوسف بن تاشفين هذه الأعمال الجليلة بالمغرب والأندلس، توفي محرم 500هـ عام 1106م عن عمر يناهز مائة عام تقريبا وحكم بعده كل من علي بن يوسف 500هـ - 1107م ، تاشفين بن علي 537هـ/ 1142م[3].

كان سقوط دولة المرابطين سنة 541هـ- 1147م، يرجع أساسا إلى عدة أسباب أهمها استبداد الحكام للرعية، وميل الولاة إلى البذخ وكذا التنازع على السلطة، وتخاذل الجيش، والحملات العسكرية بقيادة محمد بن تومرت وعبد المؤمن بن علي، وعلى إثر هذا السقوط قامت بعدها دولة الموحدين التي تعتبر من الدول الإسلامية العظمى التي ظهرت في العصور الوسطى وكان لها تأثير كبير، فهي أول دولة وحدت المغرب الإسلامي تحت حكم أبناءه، وضمت إليه الأندلس، وبعض جزر البحر المتوسط، والدارس لتاريخ قيام هذه الدولة يلاحظ التشابه الواضح في الظروف والمراحل التي رافقت كلا من دولة المرابطين والموحدين [4].

---

1 - يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص: 181.

2 - عثمان الكعاك، المرجع السابق، ص: 198.

3 - يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، ج1، ص: 135.

4 - عثمان الكعاك، المرجع السابق، ص: 199.

ب – دولة الموحدين 515- 668هـ/ 1121- 1269م:

قامت هذه الدولة على أنقاض دولة المرابطين بسبب ظهور زعماء ورجال سياسيين أمثال محمد بن تومرت الذي أبدت دعوته في المرة الأولى قبولا لدى بعض القبائل، وقد قامت حركته على شعار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المغرب خاصة منطقة السوس الأقصى، ويمكن القول أ ا حركة دينية.

لقد انتقل محمد بن تومرت[1] إلى المغرب بعد رحلته من المشرق، حيث استقر بالمهدية، قاوم البدع والمنكرات، واستنكر مظاهر الاختلاط في المواسم والأعياد في منطقة بجاية، وبعد المعارضة التي تلقاها، غادر مدينة إلى مدينة ملالة، والتقى بعبد المؤمن بن علي وأبو محمد البشير الهرغي، واتجهوا إلى تلمسان، والتي غادرها هي الأخرى بعد مضايقة قاضيها إلى فاس ومكناس ومراكش عام 514هـ.

قام محمد بن تومرت بتدريس العلم وشرح نظرية المهدي المنتظر، والإمام المعصوم بجنوب السوس الأقصى، بقرية " إيجل إن وارغن" ومن هذه المنطقة بايعه في بادئ الأمر عشرة من رفاقه[2] تحت شجرة من الخروب على أنه المهدي المنتظر، وأطلق على أصحابه لقب الموحدين.

كان أول صدام بينه وبين المرابطين في شهر شعبان 516هـ عام 1123 م، حيث انتصر على حاكم السوس الأقصى، كما خاض المهدي وفاقه حوالي تسعة معارك ضد المرابطين وأنصارهم، وبعد هذه الانتصارات التي حققها المهدي بن تومرت صمم على غزو مراكش والتي فرض عليها

[1] - محمد بن تومرت: ولد سنة 485هـ - 1092م، وينتسب إلى قبيلة هرغة إحدى بطون مصمودة الكبيرة، ويدعى قومه باسم " إيسرغين " وولد في قرية " إيجلي إنوراغن "، أخذ العلم بقرطبة حيث تتلمذ على القاضي أبي علي بن حميدين ثم ابن مرية ومنها رحل إلى المشرق عن طريق البحر فحل بالإسكندرية وأدى فريضة الحج ثم رحل إلى العراق وأقام مدة ببغداد ثم عاد إلى بلاد المغرب سنة 510هـ، يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر،ج1؛ المرجع السابق، ص: 187.

أنظر ترجمته في كل من : شذرات الذهب،ج6،ص:117 ؛

[2] - رفاقه العشرة : عبد المؤمن بن علي- أبو محمد البشير الونشريسي- عبد الله بن ملويات – أبو حفص عمر الهنتاني- أبو حفص عمر بن علي أزناج- سليمان بن مخوف – إبراهيم بن إسماعيل – أبو محمد عبد الواحد – أبو عمران موسى – أبو يحي ابو بكر ، أنظر، يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص: 189.

الحصار لمدة أربعين يوما، وبعد معركة " البحيرة " تعرض لهزيمة ساحقة قتل خلالها " أبو محمد البشير الونشريسي " وأربعة آخرون من رفاقه العشرة وجرح هو جروحا بليغة توفي على إثرها [1].

ولم ينجو إلى عبد المؤمن بن علي [2]، الذي بايعه الموحدون لمدة ثلاث سنوات في البداية، كانت سرية ثم علانية عام 1133م، استطاع عبد المؤمن فتح العديد من الدول والقرى والحصون مثل: درعة وتارودانت عام 1134م، كما اكتسح العديد من مناطق ومراكز المرابطين، في سجلماسة، ملوية، غياته، تازة ، تاغورت، مليلة، في وسط المغرب وشرقه وشماله، كما سيطر جيش الموحدين على المغرب الأوسط (الجزائر) ثم ندرومة وبلاد كومية موطن عبد المؤمن وأيضا منطقة تاجرة ومن هناك زحف على المغرب الأوسط في ثلاث اتجاهات نحو و هران ، وبني وانوان ، وجبل مديونة.

أما أهالي تلمسان خضوعهم وولائهم لهم. وترك عبد المؤمن قوات عسكرية لحصار تلمسان واتجه هو إلى مديونة ، وبني لورمي وقد تعرض المرابطون لهزائم كثيرة خلال هذه المعارك وعندما عجز تاشفين بن علي المرابطي عن مواجهة الموحدين في منطقة تلمسان اتجه إلى وهران وطلب من أصوله بالأندلس أن يوافيه مطلع عام 1145م، ولكن عبد المؤمن أسرع إلى وهران واشتبك معه وانتهت المعارك بمتله بعد أن سقط من على فرسه و هو يحاول الفرار. واقتحم الموحدين المدينة وسيطروا عليها وعلى تلمسان في نفس الفترة [3].

بعد أن انتهى عبد المؤمن من تنظيم شؤون وهران، وتلمسان زحف على فاس وحاصرها تسعة شهور ثم اقتحمها في شهر أفريل عام 1146م، وهدم أسوارها، ومن فاس اتجه إلى مكناس،

---

[1] - يحي بوعزيز المرجع السابق، ص ص: 188- 189.

[2] - ينتسب إلى أسرة بربرية قروية تنتمي إلى قبيلة كومية، إحدى بطون بني فاتن، الذين يجتمعون مع قبيلة الزناتة وقد ولد في قرية تاجرت بتلمسان في الخامس عشر السنة الأخيرة من القرن الخامس، في آخر سنة 487هـ في أيام يوسف بن تاشفين، وكانت وفاته في شهر جمادى الأخيرة سنة 558هـ، أنظر، عبد الله علي غلام، الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي، وزارة الثقافية بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية الإسلامية، الجزائر، 2007، ص ص: 82- 83.

[3] - يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، ج1، المرجع السابقـ، ص ص: 192- 193.

وتادلة، وأزمور، ومنها إلى مراكش عاصمة المرابطين التي فرض عليها حصارا دام عدة شهور من جوان 1146م إلى مارس 1147م ثم اقتحمها وأباحها للجنود ثلاثة أيام، وقتل الأمير المرابطي إبراهيم، ووضع حدا ائيا لدولة المرابطين بالمغرب وجاءت مبايعة أهالي إشبيلية في الأندلس وقد استغرقت جهوده الحربية حوالي سبعة سنوات ختمها بتطهير القبائل من المعارضين الموحدين، حيث ذهب ضحيتها عدد كبير من الأبرياء [1].

بعد أن انتهى عبد المؤمن من فرض سيطرته على كل المغرب الأقصى اهتم بأمر المغرب الأوسط خاصة إمارة بجاية[2] الحمادية، وذلك لعدة اعتبارات أهمها:

اغتصاب النصارى مملكة بني باديس الزير بن الصنهاجيين (أبناء عمومة الحماديين أصحاب بجاية) إذ استولى النورمان الصقليون على مدينة مهدية سنة 543هـ Ü 1148م وعاثوا فيها فسادا، في الثغور الإفريقية على طور ساحل ليبيا وتونس وأصبحوا قاب قوسين أو أدنى من مملكة بني حماد وقد استغاث المسلمون ذه الثغور، بالخليفة عبد المؤمن، ولم يكن هناك من سبيل إلا إنقاض هذه الثغور من يد الصليبين.

كانت بجاية قد انتا ا الضعف الشديد لانغماس حكامها في اللهو والترف والشدة وحملات العرب الهلاليين وإغار م التي لا تنقطع عنها.

تمرد المرابطين على عبد المؤمن بن علي بالمغرب والأندلس، و ديدا م لبجاية الصنهاجية لاتخاذها ملجأ، يتجمعون فيه ويكيدون منه للدولة الموحدية التي يعتبرون مغتصبة لملكهم، ولا سيما أن النصارى بالأندلس كانوا قد وضعوا حلفا مع محمد بن مردنسيس وصهره ابن همشك وبني غانية

---

1 - يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص: 193.

2 - بجاية: كانت تدعى " صلداي " في العهد الروماني، وهي قبيلة بربرية كانت تقطن هذا المكان، وتعرف باسم بجاية في اللغة العربية " فايث " بالبربرية، كما حملت اسم بانيها الناصر بن علناس فيما بعد وأيضا أصبحت تعرف بالناصرية، أسست في القرن الخامس هجري 11 ميلادي، من طرف الدولة الحمادية، وهي مدينة ساحلية تقع على بعد 236 كم شرق العاصمة ، أنظر، طبعة ا اهدين، مساهمة الجزائر في الحضارة العربية الإسلامية، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، طبعة خاصة، وزارة ا اهدين، الجزائر، ص ص: 192-193.

المرابطين الذين أسسوا مملكة قوية بجزائر الباليار ويهدف هذا الحلف إلى إضعاف الموحدين والقضاء عليهم بالأندلس والمغرب على السواء، فلهذه الاعتبارات أو لشيء منها، رأى عبد المؤمن أنه من الضروري أن يضم الموحدون بجاية إلى المغرب (1)، وكان ذلك سنة 546هـ - 1151م وبضم مدينة بجاية إلى دولة الموحدين، أصبح لها نشاط تجاري بفضل ميناؤها مع البلدان الأوربية والبلدان الشرقية، خاصة مع الميورقين (بني غانية)، الذين استطاعوا احتلالها بعد مدة زمنية قاربت أربعة وثلاثين سنة بعد الفتح (سنة 580هـ - 1184م) (2).

2- الأوضاع السياسية لبجاية:

2-1- أصل بني غانية:

ينتسب بنو غانية (3) إلى أمهم غانية، وكان المرابطون ينسبون أبنائهم إلى أمها م بسبب أن الرجال يتزوجون بعدة نساء، فينسب الأولاد إلى الأمهات تميزا لهم عن بعضهم البعض في البيت الواحد (4)، وهناك من يرى أن العادة عندهم أنه متى كانت الأم ذات حلال شريفة ومكانة سامية بين القوم نسب الأولاد لها تشريفا لهم(5) ويحتمل أن يكون ذلك بسبب المكانة السامية التي تحتلها المرأة في ذلك ا تمع (الطوارقي) فمن المعلوم أن المرأة في هذا ا تمع إلى اليوم . لذا نجد تسميات كثيرة على هذه الشاكلة في دولة المرابطين ، مثل : ابن الصحراوية،ابن فنو (اسم امرأة)...إلى غير ذلك من الأسماء.

---

1 - عبد الله علي غلام، المرجع السابق، ص- ص: 202- 204.

2 - السيدة عالمة " النظر على تاريخ بجاية ": الأصالة، العدد 19، صفر- ربيع الأول 1394هـ / مارس –أفريل 1974م، الجزائر، ص ص: 86- 87.

3 - أحيانا تدعو المصادر بني غانية بالميارقة نسبة إلى جزيرة مايروقة، وأحيانا تدعوهم بالملثمين نسبة لأ م من الطوارق المشهورين بلبس اللثام إلى اليوم، والتسمية المشهورة هي بني غانية نسبة إلى أمهم غانية.

4 - حسين مؤنس، موسوعة تاريخ الأندلس فكر وتاريخ وحضارة وتراث، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ج3، ط2؛ 1996، ص: 142.

5 -محمد عبد الله عنان ، دولة الإسلام في الأندلس ، مكتبة الخانجي ، مصر ،القاهرة ،لجنة التأليف والترجمة والنشر،ج3،ط2، ص: 142.

يرى بعض المؤرخين أن أصلهم يعود إلى مملكة غانة لذا عرفت بهذا الاسم (غانية) ويحتمل أن يكون غانية اسما بربريا، كيوسف بن تاشفين، ومحمد بن فنو...الخ.

ينتمي بنو غانية إلى موسوفة البربرية ، والتي امتدت في الصحراء بين سجلماسة في الشمال وأودغشت في الجنوب، ما يعرف الآن بالصحراء الغربية وموريتانيا، وكانوا معدودين مع قبيلة بنو جدالة ولمتونة بطن من بطون صنهاجة ،وقد قام بنو غانية بدور كبير منذ بداية نشوء الدولة المرابطية حتى وصولها إلى أقصى اتساع.كما كانت تربطهم علاقة مصاهرة، فقد تزوج ابن أبو علي يحي المسوفي، بالأميرة غانية إحدى قريبات يوسف بن تاسفين، فأنجبت منه محمد ويحي الذين عاشا تحت رعاية يوسف بن تاشفين وكنفه[1].وبعد وفاة علي تزوجت غانية بمحمد بن الحاج المتوفي، القائد المرابطي، فعاش محمد وأخوه تحت رعايته، ولي يحي مدينة بلنسية.

2-2- غزو بني غانية لبجاية:

كان بنو غانية على علم تام بأحوال مدينة بجاية، فكانت السفن التجارية تسير بانتظام واستمرار بين ميورقة وبجاية لتبادل السبي أوبيعه، حيث يقول الغبريني :" إن بجاية بلدة غزاة وكان غزاة قطعها يدخلون إلى دواخل الجزر الرومانية وغيرها ويسوقون السبي الكثير منها ويـل الناس لشراءه...وكانت أجفان إسحاق بن غانية تصل أيضا من ميورقه كما تصل به أجفان بجاية، فلما عزم بنو غانية غزو إفريقيا ساروا بالأسطول ونزلوا شاطئ بجاية بمحل بيع السبي منها، وكانت البلدة شاغرة من الجيش فتلقاهم الناس على عادة تلقيهم من اجل السبي[2]...".

من خلال هذا القول، يتضح لنا أن غزو بني غانية لمدينة بجاية لم يكن بالصدفة، بل شجعته على ذلك عدة عوامل وظروف، داخلية وخارجية، فلمخ يكن قدوم السفن إلى مدينة بجاية بالشيء الغريب فكثيرا ما كانوا يأتون لبيع سبي غزوا م، فاستغل بنو غانية هذا الأمر، وجاءوا كعاد م

---

[1] - عبد الرحمن بن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج6، ص: 250.

[2] - عبد الله الغبريني، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة اليابقة ببجاية، دار البصائر للتوزيع والنشر، الجزائر، ط1¡ 2007م، ص: 21.

متظاهرين بالقدوم لبيع السبي، فخرج لهم بنو حماد ودلوهم على غفلة أهل البلد ويسر احتلالها، مما قوى عزيمتهم فدخلوها على حين غرة[1].

يضاف إلى ذلك ما قام به جماعة الناقمين من أعيان بجاية، فان هؤلاء راسلوا بن غانية يحثونه على غزو الجزائر، وإقامة دعوة المرابطين لها، وإ م لا يزالون على وفائهم لأسرة بيت الملك من بني تاشفين الملثمين، وحينئذ نادى أمير جزائر الباليار على الميورقي بإقامة صرح عرش دولة المرابطين بالجزائر الشرقية، وأعلن مجاهدا بخروجه عن طاعة الموحدين.[2]

كما شجعت الظروف التي تمر ا دولة الموحدين، من فشل قوا م، ومقتل خليفتهم ومبايعة الأمير الجديد يعقوب بن يوسف، وانشقاق بني عبد المؤمن على أنفسهم وامتناع بعضهم عن البيعة للأمير الجديد، شجعت هذه الظروف عليا بن إسحاق على التمرد على دولة الموحدين.[3]

فاجمع أمره واعتزم على شن غارته على المغرب أولا، فنظم أسطولا يحتوي على 32 قطعة حربية، وعدها ابن الأثير عشرين، وملأها بجيش يبلغ عدده 4000 مشاة، و300 فارس، وفي الكامل لابن الأثير قال نحو مائتي فارس، وما كاد يحل يوم الاثنين 6 شعبان سنة 580هـ/12نوفمبر 1184م. حتى كانت جيوش ابن غانية بساحل بجاية، واخذت ت ل بناحية .....في مكان بيع السبي من المدينة، فقاتله بعض أهلها فتغلب الميورقي عليهم واحتل جبل الخليفة ودخلت جيوشه المدينة من باب اللوز ولم يكن إذ ذلك مسورا.[4]

لم يكن والي المدينة أبو الربيع سليمان بن عبد الله بن عبد المؤمن حاضرا، حيث كان متغيبا في جيشه عن المدينة ذاهبا في طريقه نحو المغرب الأقصى مغفلا لشأن المدينة حيث تركها رهن الطوارق،

---

1 - واعظ نويرة، أثر ثورة بني غاينة على الدولة الموحدية 580 – 633هـ / 1184م – 1253م (رسالة لنيل الماجستير في التاريخ الوسيط)، الجزائر، 2007 – 2008، ص: 15.

2 - عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، شركة دار الامة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ج2¡ 2007م، ص: 44.

3 - هشام أبو رميلة، علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس، دار الفرقان للنشر والتوزيع، الأردن، 1984، ط1، ص: 151.

4 - عبد الرحمان الجيلالي، " لمحة عن زحف علي بن غانية الميورقي على بجاية " : " الأصالة " العدد 19، الجزائر، صفر- ربيع الأول 1394ه، مارس- أفريل 1974، ص: 34.

فانتهزها الميورقي فرصة وتقدم إلى القصبة فاحتلها من غير قتال وركز علمه الأسود ا، وهو شعار العباسيين، ثم يتم المسجد الجامع والناس في صلاة الجمعة فأحاطهم بجنوده، وما راع أهل بجاية إلا ونطاق الحصار مضروب عليهم من كل جانب، فأرغموا عندئذ على مبايعة ابن غانية الميورقي باسم الخلافة العباسية، فكان من بايعه خلى سبيله، ومن توقف عن بيعته ضرب عنقه، وكان فيمن امتنع عن البيعة قاضي بجاية، العلامة الإمام أبو علي حسن المسيلي فأكرهوه عليها[1].

فقال لا نبايع من لانعرف هل هو رجل أو امرأة، معرضا بزي الميورقي الذي كان سائق أعلى أسلافه اللمتونين من استعمال اللثام، بحيث لا يبدون وجوههم لأحد، وحينئذ كشف الميورقي عن وجهه قال صاحب، وهذا هو منتهى مابلغ توقفه، وهو أمر كبير عند مطالبته بالبيعة، لو لا علو منصب الفقيه أبي علي رضي الله عنه ماساعده.

تلقب الميورقي بأمير المسلمين، وهو لقب المرابطين وقد زالت دولتهم ووافقة على ذلك بقايا دولة بني حماد، 'المنحرفون عن دعوة الموحدين، تأسست يومئذ امارة افريقية مستقلة، ولقد كانت هذه المباغتة الحربية فيما يستقبل سببا في غلق الناس لأبواب المدينة عند انقطاعهم لتأدية صلاة الجمعة في المساجد وبقيت فيهم سنة متبعة.[2]

صادف يومئذ أن كان والي القلعة موجودا بمتيجة، فلما بلغه الخبر، أسرع لمظاهرة والي بجاية وكانت هناك حرب وقتال، شاركت فيه نحو الألف من سكان قبائل تلك الجهات واعرا ا المنظمة إلى ابن غانية، فانتحر فيها على الموحدين، وأخذ جنوده في الانتشار على مدن المغرب الأوسط، فاحتلوا مدينة الجزائر، ومليانة، ونواحي مازونة وتلمسان ووهران والقلعة الحمادية كما توجهوا إلى ولاية قسنطينة، فاحتلوها، ماعدا مدينة قسنطينة، حيث لم يقررا على فتحها.

كان فيمن استعان م ابن غانية في حملته هذه و تأدية على الغزو، واستمراره في تتبع أثر الموحدين ، اء الدين قراقوش الغزى، الذي كان متوليا على طرابلس الغرب وهو أحد موالي

---

1 -عبد الرحمان الجيلاني، المرجع السابق، ص: 34.

2 - الرجع نفسه، ص، ص: 34؛ 35.

السلطان صلاح الدين الأيوبي، فاستعان به، ثم انقلب عليه وأخذ منه طرابلس نفسها، وأتولى على بلاد الجريد، وصفا قس والقيروان والمهدية، وجزء من ولاية قسنطينة[1].

2-3- ردود فعل الدولة الموحدية من غزو بجاية:

كان غزو مدينة بجاية مفاجأة للجميع، فالإمبراطورية الموحدية ذات محدود المترامية الأطراف والجيوش الجرارة، والتي كان الكل يطلب ودها ويخشى غضبها، حتى من المشرق الإسلامي، وحتى الجمهوريات الايطالية " النصرانية "، فإذا بثلة من الناس لا يحسب لهم حساب يغزون هذه الدولة وفي عقر دارها[2]...

لما علم الخليفة المنصور بتلك الحوادث، وهو ما يزال في بداية عهده، حيث لم يكن قد انقضى على توليته الحكم سوى خمسة أشهر، اهتز لها وأدرك في الحال خطور ا فقرر القضاء عليها فورا. لذلك جهز جيشا بلغ عدده عشرين ألف مقاتل وزوده بوافر العدة والآلات ثم أسند قيادته إلى ابن عمه، السيد أبي زيد بن أبي حفص، وبعث في نفس الوقت أسطولا موحديا كبيرا من سبتة تحت قيادة أبي محمد بن إسحاق بن جامع وأبي محمد بن عطوش الكومي، وأبي العباس الصقلي سارا الجيش وفق خطة حربية واحدة متعاونين في البر والجو، مهد الخليفة المنصور الطريق أمام الجيش والأسطول فبعث عيونه وجواسيسه بالكتب إلى أهل البلاد[3].

كان من دهاء الموحدين أ م أرسلوا إلى أهالي المدن المحتلة رسائل يعدو م بالأمان والصفح، فكانوا كلما دنوا من بلاد إلا ودنسوا جواسيس بالرسائل، فلما رأى الأهالي أ م قد أمنوا عقاب الموحدين وثبوا على من كان عندهم من بني غانية، ففي الجزائر وثب الأهالي على حامية بني غانية

---

1 - عبد الرحمان الجيلالي المرجع السابق ص: 35.

2 - واعظ نويرة، المرجع السابق، ص: 17.

3 - هشام أبو رميلة، المرجع السابق، ص، ص: 156- 157.

وقبضوا على عاملهم يحي بن طلحة وترصدوا لمن حاول الفرار منهم وقبضوا على الكثير منهم في الجبال، والمضايق، ثم مالبث أن وصل الأسطول فدخلها. [1]

بلغ ما حدث في الجزائر عامل بني غانية على مليانة فحاول أن يفر تحت جنح الظلام لكن أهلها اقتفوا أثره فلحقوا به في القرية المعروفة بأم العلو، وكان قد استجار ببعض القبائل هناك، فأجاروه واستماتوا في القتال معه، فلم يقبضوا عليه إلا بعد معركة طاحن، فأمر الموحدون به ويحي بن طلحة فقتلوا جمعيا بالشلف[2]. ألم بجاية، موطئ قدم بني غانية الأول في افريقية، فقد طبق الموحدين فيها نفس الأسلوب مع المدن السابقة، فأرسلوا بكتب الأمان والصفح[3].

هدم أبو العباس الصقلي بسفينة من ميناء بجاية، فدس عن طريق أعوانه الكتب إلى أهل بجاية، يسألهم القيام على بني غانية، ويخبرهم بوصول الجيش والأسطول ، فاستجاب أهل بجاية، فما أن لحق الأسطول حتى ثار الأهالي على بني غانية وفتحوا أبواب المدينة لجيوش الموحدين، فاقتحمها رجال الأسطول، يتقدمهم أبو محمد بن جامع، وفتكوا بقوات ابن غانية وأنصاره، واستولوا على سفن ابن غانية وأطلقوا سراح الأسرى الموحدين[4]، ولكن حالة من الفوضى العارمة عمت، حيث كثر السلب والنهب، ولم يعد النظام حتى أمر قائد الأسطول الموحدين بقتل كل من يثبت عليه السلب أو النهب[5].

هكذا كان المتوحدون قد استردوا مدينة بجاية في 19 صفر 581ه/22 ماي 1185م[6].

وبعد سقوط بجاية فر علي بن غانية إلى أخيه، يحي الذي كان يحاصر قسنطينة والتي ضيق الحصار عليها حتى كادت تسقط في يده، فلما اخبره أخوه فر قبل وصول الموحدين إليه، وسار بقواته جنوبا

1 - واعظ نويرة ، المرجع السابق، ص: 18.

2 - عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص: 288.

3 - هشام أبو رميلة، المرجع السابق، ص: 157.

4 - المرجع نفسه، ص: 157.

5 - واعظ نويرة، المرجع السابق، ص:18.

6 - هشام أبو رميلة، المرجع السابق، ص: 157.

إلى الصحراء، وسار الموحدون وراءه حتى مقرة[1] ونقاوس ثم عادوا إلى بجاية لعجزهم عن اللحاق به بسبب أحمالهم الثقيلة.[2]

على الرغم من ذلك، فان علي لبن غانية، لم ييأس، حيث بعث بجنده تحت قيادة غزى الصنهاجي إلى مدينة أشير[3] فاقتحم حصنها وقتل حافظها الموحدي، وبلغت هذه الأخبار والي بجاية السيد أبو زيد فأرسل إليهم ابنه أبا حفص غانم بن مردينش ودارت بين الفريقين معركة طاحنة تمكن الموحدون في النهاية من قتل غزى فقطعوا رأسه وأرسلوا به إلى بجاية فعلق في مدخل المدينة، ثم خلفه أخوه عبد الله والذي استمات هو الأخر في الدفاع عن أشير، فاستماله أحد القضاة بالوعود، واستـ له ثم قبض عليه، فصلب بإزاء رأس أخيه ببجاية[4]

ـذا أدرك علي بن غانية بعد فشله في هذه الغزوة الفرق الشاسع بين قوته وقوة الموحدين، وان بجاية وعلى الرغم من بعدها عن العاصمة الموحدين "مراكش" إلا أ ا لا تزال قريبة بسبب وقوعها على البحر وسهولة تسير الأساطيل إليها، فتوغل جنوبا إلى بلاد الجريد حتى وصل قسطيلة[5] ، فانظم فانظم إليه العديد من القبائل العربية وتحالفوا معه.

أشدت وطأة الموحدين على أهل بجاية فلم يسلم منهم حتى أهل العلم ورجال الدين[6] ومع أ ـم أعطوا الأمان لأهل المدينة، إلا أ ـم قاموا بعمليات انتقامية ضد كل من تعاون مع بني غانية في

---

1 - مقرة: بلد كبير ذو ثمار وا ـار ومزارع وحبوب وأهلها يزرعون الكتان، أبو عبد الله البكري، البيان المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، مكتبة المثنى، بغداد، ص: 51.

2 - واعظ نويرة، المرجع السابق، ص: 18.

3 - أشير: أو أشير زيري قال عنها الإدريسي: حصن حسن البقعة كثير النافع وله سوق يوم معروف يجلب إليه كل لطيف ويباع كل طريق.

4 - ابن عذارى، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لقيم الموحدين، تح: محمد بن إبراهيم الكتاني وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1؛ ط1؛ 1406هـ - 1958م، ص: 173.

5 - قسطيلة قال عنها البكرى أو بلاد الجريد مد ـا توزر والحمة ونقطة وتوزر هي آمها وهي مدينة كبيرة عملها سور مبني بالحجر والطوب ولها جامع جامع حكم البناء وأسواق كثيرة وحولها ارباض واسعة وهي مدينة حصيلة لها أربعة أبواب كثيرة النخل و البساتين والثمار، البكرى، المصدر السابق،ص38

6 - هشام أبو رميلة، المرجع السابق ، ص: 158.

بجاية، فقاموا بنفي بني حماد إلى سلا[1] وأرغموهم على بيع أملاكهم بأبخس الأثمان، كما قتلوا كل من قبضوا عليه من بني غانية، أو من خدمهم أو تعاون معهم من أهل المدينة[2].

3- الأوضاع الفكرية والثقافية لبجاية:

تعتبر بجاية مركزا من أهم المراكز الثقافية في المغرب الأوسط، إذ هي محط رجال طلب العلم، ورجالات الكلام والفلسفة والتصوف، وعلماء اللغة، والآداب والطب، والصناعات المختلفة، فكان يؤدي إليها المشتغلون بعلوم الأوائل، وأصحاب المذاهب الصوفية والعقول المستقلة، يجدون فيها متعة الإقامة، واحة العقل وطمأنينة القلب، مما يتيح لهم أن يتأملوا وان يؤلفوا، وان ينجوا من سطوة بعض الجائرين من السلاطين، ومما زادها أهمية أ ا مرسى، وثغر يمر به الحجاج، وطلاب العلم، الذين يقصدون إلى المشرق، ويقيمون ا، يأخذون عن علمائها.

لاشك أن أسباب هذا التطور ترجع إلى أمور مهمة، ولعل من أهمها التقدم العلمي الذي تحقق خاصة في عهد بني حماد والذين كان لهم الفضل الكبير حيث نشطوا العلم وأهله، وتعرب قسم كبير من البربر، وأم حضر ا العلماء من افريقية، إضافة إلى الهجرة الأندلسية في ذلك العصر، أثرا الحوادث الكبرى والانقلابات التي داهمت الأندلس من المرابطين إلى الموحدين، ولما انتصب العلماء الأندلسيون بالقطر، وعلى الخصوص ببجاية كانوا قد وجدوا جوا وأفكارا قابلة للتلقيح، وأمة متعطشة للعلم، منشطة لمن يبثه في أوساطها[3].

كما قامت بمدينة بجاية مدارس ومعاهد علمية، ذات شهرة، ومساجد جامعة، وزوايا صوفية عريقة، ونبغ ا علماء أجلاء كان لهم رأي في الشريعة الإسلامية، وشعراء فحول، وحكماء متضلعون في الفلسفة والحكمة، وعلم التوحيد والمنطق، ولغوين مبرزون، ومحدثون أمناء، ومدققون ومحققون في

---

1 - سلا: قال عنها الإدريسي: الحديثة على ضفة البحر وكانت في القديم من الزمان شاله على ميلين من البحر وموضعها على ضفة ر اسمير الذي يتصل بمدينة سلا الحديثة وهناك مصبه في البحر الإدريسي، نفس المصدر، ص: 14.

2 - ابن عذراي، المصدر السابق، القسم الموحدى، ص: 181.

3 - عثمان الكعاك، موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003م، ط1، ص،ص، 205؛ 206.

الرواية والسند ومتصرفون في القمة، ورياضيون مبتكرون، وطلاب علم، ومعرفة من أنحاء العالم الإسلامي شرقه وغربه، من الأندلس إلى بلاد فارس، ومن بلاد أوروبا خاصة ايطاليا، وفرنسا واليونان[1].

نقلا عن يحي بوعزيز، ذكر ياقوت الحموي، بأنه حتى العوام، والعمي في بجاية كانوا يحفظون عن ظهر قلب كتب البخاري، والمدونة[2] والموطأ والتلقين ويشرحو ا للناس من ذاكرا م. وهي شهادة لها مغزاها ومدلولها[3].

كان تدريس العلوم يقع بالجامع الأعظم من كل مدينة وعلى الخصوص بالجامع الأعظم بحضرة بجاية، وتكون المساجد شبه مدارس ابتدائية عليا، ينتقل فيها الإنسان من الكتاب الذي هو بمثابة مدرسة ابتدائية إلى الجامع الأعظم وهو الكلية الإسلامية في اصطلاح ذلك العصر، ويحصل المتخرج على شهادة الإجازة وهي تقابل ما نسميه اليوم بالليسانس، وكانت العلوم التي تدرس إلى ثلاثة أقسام:

أ- العلوم الدينية:

منها الفقه يدرس في كتاب التهذيب للبراذغي، والرسالة لابن أبي زيد القيرواني، والجلاب، والتلقين ومختصر أبي زيد، وأصل التدريس هو الموطأ لمالك بن أنس، ومنها الأصول تدرس في المستصفي والإرشاد للإمام الغزالي، ومنها علم التصوف ومنها علم رواية الحديث. والكتب التي يدرس ا الحديث هي كتاب الموطأ لمالك بن أنس، وكتاب الموطأ للصذفي، وجامع البخاري، ومسند مسلم وجامع الترميذي، وكتب أخرى وكذلك علم تفسير القران الكريم، بكتاب الكشاف والبيان

---

1 - يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج1، ط1؛ 1995، ص:15.

2 - المدونة: من أشهر كتب الفقه المالكي، لعبد السلام بن سعيد التنوخيي، الملقب بسحنون توفي 240هـ ، عبد المنعم القاسمي الحسيني، أعلام التصوف في الجزائر، دار الخليل القاسمي للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1؛ 1425هـ/2005م، هميش، ص، 58.

3 – عثمان الكعاك، المرجع السابق، ص: 208.

لابن إسحاق الثعالبي، وكتاب أحكام القران للقرطبي، وكتاب التفصيل للمهدوي، وكتاب الوجيز في شرح كتاب الله العزيز، لعبد الحق الغرناطي، وكتاب الكشاف للزمخشري[1].

ب- العلوم اللغوية والأدبية:

منها علم العربية، يدرس في كتب سيبويه، والإيضاح لأبي علي الفارسي، وكتاب القانون لأبي موسى الجزولي، والمفضل للزمخشري، ومنها علم الأدب يدرس بزهر الآداب للحصري القيرواني، والعقد الفريد لابن عبد ربه، وأدب الكتاب لابن قتيبة، والحماسة لأبي تمام، والمقامات للحريري، وتفسير دواوين الشعر كالمتنبي والعري والمعلقات.

ج- العلوم العقلية (الطب، الرياضيات):

كان الطب يدرس ببجاية، وقد تصدى لتعليمه جملة من الأطباء، أشهرهم أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد الأموي، كان يقرئ أرجوزة الحكيم ابن سينا والقانون له أيضا، وهما من أحسن الكتب العربية الطبية، ونقلا عن عثمان الكعاك قال الغبريني[2] : " وحضرت ا الس من القراءة عليه القاضي الجليل أبو عبد الله بن يعقوب في المرة التي اجتاز فيها على بجاية، حين وصوله من طنجة، والفقيه الحكيم أبو بكر بن القلاش" إلى أن قال في صفة التدريس: " وكانت في كل ذلك جارية على القوانين النظرية والاستدلالات الجلية "[3]

لقد ظهرت نخبة من علماء الحساب والرياضيين والعارفين بالعلوم العقلية وربما كان منهم من كان نصرانيا أو يهوديا له دارية باللسان العربي، وكان العلماء يعقدون ا الس للمناظرة والمحادثة،

---

1 - عثمان الكعاك، ا لمرجع السابق، ص: 208.

2 - الغبريني: أحمد بن أحمد بن عبد الله، أبو العباس الغبريني صاحب " عنوان الدراية" ولد بغبرين (بطن من بطون الامازيغ في بلاد المغرب العربي) بناحية عزازقة وذلك حوالي سنة 664ه/1226م، حفظ القران في صغره وتعلم علوم العربية بمسقط رأسه، وانتقل إلى بجاية، والتي كانت حاضرة العلم وقاعدة الملك آنذاك، وتفقه في العلوم الشرعية والفلسفية... وشغل وظيفة التعليم ببجاية وجامع الزيتونة، كما تولى القضاء في عدة أماكن منها ببجاية، توفي عام 714ه / 1314م، انظر، عبد المنعم القاسمي الحسني، أعلام التصوف في الجزائر، ص، ص، 66؛ 67.

3 - – عثمان الكعاك، المرجع السابق، ص، ص، 208؛ 209.

منها مجلس الفقيه عبد الحق الاشبيلي والفقيه ابن قريشة، وأبو علي المسيلي، يجلسون في حانوت بطرف حارة المقدس من مدينة بجاية، وكان الحانوت المذكور، يسمى مدينة العلم لاجتماعهم فيه(1).

د-رواد الفكر والثقافة في بجاية:

لقد شهدت مدينة بجاية ـضة علمية وفكرية، وثقافية هائلة، عبر العصور حتى مطلع القرن السادس عشر ميلادي. ومن أشهر وأبرز الإعلام، والرواد الذين يمكن الإشارة إليهم:

- الفقيه الفضل بن سلمة البجائي (319هـ - 931م).
- الرحالة المقرئي أبو القاسم يوسف البسكري (403- 465هـ/ 1012- 1072م).
- الفقيه الفيلسوف محمد بن علي ابن الرمامة (478-567هـ/1085-1171م).
- الفقيه المحدث أبو عبد الملك مروان البوني (4390هـ - 1047م).
- اللغوي النحوي الحسن بن علي التيهرتي (ت: 501هـ - 1108م).
- العلامة يوسف الورجلاني (500-570هـ/ 1106-1174م).
- الفقيه الفيلسوف أبو حامد الصغير (580هـ - 1185م).
- الحجة الحافظ أبو عمران الاشيري (ت: 580هـ - 1193م).
- والقطب الصوفي أبو مدين شعيب بن الحسن (595هـ).

وقد ترجم الغبريني في كتابه " عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية". لأكثر من مائة وعشرون من العلماء، والفقهاء والأدباء، والشعراء و الأطباء، و الحكماء، والرياضيين و الفلكيين ،و المتصوفة، و الفلاسفة والمحدثين ،واللغويين وغيرهم ممن أنتجتهم بجاية، أوجاؤا من الأصقاع البعيدة ليستقروا ـا، ويتعلموا ويكتبوا، ويؤلفوا الكتب، وينسخوا المخطوطات، ويقرؤونا القرآن، ويعظوا ويرشدوا، ويفتوا، ويؤموا الناس، ومنهم من أقاموا ـا مدة من ثم رحلوا إلى المشرق أو المغرب، مثل ابن خلدون، الشيخ لهواري، وأبي مدين شعيب.

---

1 - – عبد الله الغبريني، المرجع السابق، ص: 16.

وهذا الحشد من العلماء، أثروا الحضارة العربية الإسلامية، إثراء واسعا في مختلف مجالا ا، الفكرية، المادية، الروحية، الأدبية، في المغرب والأندلس والمشرق، وشاركوا في ضتها وتطورها ورقيها، وتوسيع مجالا ا، ومفاهيمها حيث كانوا في المستوى المطلوب، وعبدوا الطريق لمن جاء بعدهم من الأبناء والأحفاد، فقد أبرز هذا الماضي المشرق، ثقافيا وفكريا، وحتى سياسيا وعسكريا، أهمية المنطقة، وحيوية شعبها والدور الكبير الذي لعبه في مختلف ا الات.[1]

4- دور أبي مدين في المغرب والمشرق الإسلامي:

أ- في المغرب الإسلامي:

1-دور أبي مدين التعليمي:

بعد قضاء أبا مدين سنين عديدة بفاس، ثم توجهه إلى المشرق بنية الحج وطلب العلم، والتقائه بالشيخ عبد القادر الجيلاني، عاد الشيخ إلى مدينة بجاية، التي كانت تحت سلطة الموحدين آنذاك، فيجعل منها موطنا له، حيث قضى ا أكثر من خمسة عشر عاما، وهذا ما أجمعت عليه جل المصادر والمراجع دون تحديد سنة دخوله المدينة[2].

وكان الشيخ رحمه الله تعالى، قد تزوج في بجاية، من جارية حبشية، وأنجب منها ولدا[3].

وبعد استقراره في المدينة، أخذ الشيخ أبا مدين في التدريس والإرشاد، وكان من الكتب التي يدرسها كتاب " المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى" للإمام الغزالي، وهو كتاب مبارك، يقول الإمام الغزالي انه بث فيه بعض أسرار المكاشفة، إضافة إلى كتب ورسائل التصوف ومن بينها، الرسالة القشيرية، وهي من الكتب المفضلة عند أبي مدين.[4]

---

1 - يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص: 15-17.

2 - عبد المنعم القاسمي، أعلام التصوف في الجزائر، المرجع السابق، ص، ص، 167.168.

3 - عبد القادر الخلادي: " أبو مدين الغوث دفين تلمسان، 520 – 594هـ / 1126- 1197م " : الأصالة، العدد 26، رجب- شعبان 1395هـ، جويلية-أوت 1975م، ص: 291.

4 - عبد الحليم محمود، المرجع السابق، ص: 53.

كما كان يعقد حلقات ومجالس لوعظ الناس، وتدريس الطلبة مختلف العلوم والذين كانوا يلجئون إليه، في حل ما أشكل عليهم، في مسائل الدين، حيث وقع اختلاف ونزاع بين طلبته في بجاية في الحديث الوارد عن النبي – صلى الله عليه وسلم – وهو قوله: " إذا مات المؤمن أعطي نصف الجنة " فان ظاهره يقتضي أن المؤمنين إذا ماتا، فقد استحقا كل الجنة بكمالها، ولما شكل عليهم، دعوا ا لمس، الشيخ سيدي أبي مدين، إذ قد تعودوا منه حل ما أشكل، و بيان ما أعظم، دعوا ا لمس، فوجدوه في مجلسه يتكلم عن رسالة القشيري، فلما استقر لهم ا لمس... فقال لهم: " إنما أراد الرسول. - صلى الله عليه وسلم – أن المؤمن إذا توفي أعطاه الله نصف ما كان كتب له في اللوح من جنته التي أعدها له في دار الخلود.

كان أبو مدين مشغولا بالتربية و الإفادة، و التعليم و العبادة، و الإقبال على الله تعالى في الظاهر و الباطن .فأقبل عليه طلبة العلم من كل صوب و حدب، إضافة إلى الأولياء والعلماء الذين كانوا يأتونه من البلدان للاستفتاء فيما يعرض لهم من المسائل[1] ،ويتضح لنا من خلال هذا، مكانة الشيخ الفاضل. ودوره الكبير في الازدهار الثقافي، والنهضة الفكرية والاجتماعية في مدينة بجاية، والتي أصبحت مقصدا للكثير بين من الناس.

فقد تخرج على يده، العديد من التلاميذ، حيث قدر عددهم حوالي ألف تلميذ، ظهرت على يد كل واحد منهم كرامة، حسب رواية ابن الزيات في كتابه التشوف إلى رجال التصوف[2] أما جعفر ابن إدريس الكتاني، صاحب كتاب " سلوة الأنفاس " فقد ذكر بأن الشيخ تخرج من دائرته ثلاث مائة قطب دون الصالحين[3] ومن أشهر تلامذته:

---

1 - عبد المنعم قاسمي الحسني، المرجع السابق، ص: 168.

2 - ابن الزيات، المصدر السابق، ص: 324.

3 - جعفر ابن إدريس الكتاني، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن اقبر من العلماء والصلحاء بفاس، تح، شريف محمد حمزة بن علي الكتاني، ص: 414.

- أبو عبد الحق عبد الرحمن الاشبيلي:

هو عبد الحق عبد الرحمن بن عبد الله بن الحسين بن سعيد الأزدي، أبو محمد الاشبيلي، ويعرف بابن الخراط، نزل بجاية عند الفتنة الواقعة بالأندلس عند انقراض الدولة اللمتونية، فنشر ا علمه، وولي الخطبة والصلاة بجامعها، وكان فقيها حافظا، عالما بالحديث وعلله، عارفا بالرجال، موصوفا بالخير والصلاح، والزهد والورع، ولزومه السنة، والتقلل مكن الدنيا، حيث صنف في الأحكام نسختين: كبرى وصغرى، وله " الجمع بين الصحيحين " وكتاب في الجمع بين المصنفات الستة، وكتاب في المعتل من الحديث، وكتاب في الرقائق ومصنفات أخرى، وله كتاب في اللغة، ضاهى به كتاب " الغربيين " للهروي أبي عبيد، ولد سنة 510هـ وتوفي ببجاية، بعد محنة نالته من قبل الولاة في الربيع الآخر سنة 581هـ.[1]

- محي الدين بن عربي:

هو الشيخ الفقيه، أبو عبد الله محمد بن علي الطائي، الحاتمي، المعروف ابن سراقة ويلقب بمحي الدين، ويعرف بابن العربي[2]، حيث ألف أكثر من 500 مصنف[3]، وله مجموعة من المؤلفات كلها في علم التصوف وفق ما ذكره الغبريني في كتابه " عنوان الدراية ".

لقد رحل ابن عربي إلى المغرب ونزل ببجاية، حيث لقي الصوفي شعيب بن الحسن الاشبيلي المعروف بأبي مدين[4] وأخذ عنه سنة 590هـ[5] .

---

1 - إبراهيم بن نور الدين (ابن فرحون المالكي)، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تح، مأمون بن محي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط1؛ 1417ه- 1996م، ص: 277. أنظر ترجمته في :أعلام التصوف في الجزائر، ص:184-187.

2 - عبد الله الغبريني، عنوان الدراية، المرجع السابق، ص: 78.

3 - عبد المنعم القاسمي الحسني، المرجع السابق، ته، ص: 161.

4 - انخل جنثالث بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، نقله عن الاسبانية حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ص: 373.

5 - يحي بعزيز، مدينة وهران عبر التاريخ ويليه مدينة تلمسان عاصمة المغرب الأوسط ويليه المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر 2009، ص: 68.

كان ظاهري المذهب في العبادات، باطني النظر في الاعتقادات، وقال حميدي خميسي نقلا عن الذهبي " بن له توسعا في الكلام والذكاء، وقوة الخاطر، وحافظ وتدقيقا في التصوف، وتأليفه جمة في العرفان"، توفي سنة 638هـ بدمشق[1].

كان قد قرأ القران بالروايات السبع على جماعة، كمحمد بن خلف اللخمي، وعبد الرحمن شراط القرطبي، وغيرهم، وأخذ الحديث على الحافظ عبد الحق الاشبيلي، ومحمد بن سعيد بن زرقون، وابن الخرساني وابن بشكوال، وأخذ بالإجارة عن الحافظ السلفي، وابن عساكر وابن الجوزي، وتوغل في العلوم، وتبحر فيها تبحرا واسعا، وكان في ابتداء أمره يشتغل كاتبا لبعض الولاة، ثم ترك ذلك، فتزهد وانقطع إلى - الله تعالى جل وعلا- وسلك الطريق، ودخل الخلوة، وجاهد نفسه، وراضها وساح في الفلوات، والسواحل والجبال، وصحب الصوفية والأكابر، وعاشر العباد والمنقطعين إلى الله تعالى وهو لا يزال في بلاده حتى فتح الله عليه الفتح الأكبر وبلغ مقاما في ذلك قلما وصله أحد من أقطاب هذه الأمة[2]، وبذلك يعتبر من كبار مشايخ التصوف وعظماء مفكري الإسلام[3].

- أبو علي المسيلي:

هو الشيخ الفقيه الفاضل، العالم، العابد المحقق المتقن المحصل، ا تهد الإمام أبو حسن علي بن محمد المسيلي، كان يسمى أبا حامد الصغير، جمع بين العلم والعمل، والورع، وعلمي الظاهر والباطل، له المصنفات الحسنة، والقصص العجيبة المستحسنة له " التذكرة في أصول علم الدين" و"النبراس في الرد على منكر القياس" وله كتاب في علم التذكير، سماه كتاب " التفكير فيما يشتمل

1 - حميدي خميسي، نشأة التصوف الفلسفي في المغرب الإسلامي الوسيط، اتجاهاته مدارسه، أعلامه، وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية 2007، ص: 135.

2 - عبد القادر التليدي، المطرب بمشاهير أولياء المغرب، المرجع السابق، ص: 115.أنظر: كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية، ص: 25. أنظر: أنخل جنثالث، تاريخ الفكر الأندلسي، ص: 376.

3 - عبد المنعم القاسمي الحسني ،المرجع السابق ،نه،ص:161

عليه السور والآيات من المبادئ والغايات"[1] وهو كتاب جليل سلك فيه أبي حامد، في كتاب الإحياء، وبه سمي أبا حامد الصغير. ولي قضاء بجاية، ودخل عليه الموارقة وهو قاض وألجئوه إلى بيعهم، واكرهوه، هو وغيره عليها، فامتنع من البيعة، وكان يدرس بالجامع الأعظم، وكان من جملة القراء بين يديه حفيد له، وروي أنه قال: " أدركت ببجاية تسعين مفتيا"، ولما كان في مدة ولايته عرض له مرض، اقتضى أن يستنيب من ينوب عنه في الأحكام الشرعية، فاستناب حفيده، وكان له نبل كبير، ومن سيرته أنه إذا انفصل عن مجلس الحكم يدخل لجده الفقيه، أبي على ويعرض عليه ما يليق عرضه من المسائل.توفي أبو علي المسيلي ببجاية، ودفن بباب أمسيسون وكان الرجل دفن بجبل الخليفة[2].

- عبد السلام بن مشيش:

هو عبد السلام بن مشيش بن أبي بكر بن علي الإدريسي، فقيه صوفي مغربي له المقام العلي في المغرب، قيل هو كالشافعي في مصر، أخذ عن أبي مدين الغوث[3].

ولد في قبيلة "بني عروس" وهي من القبائل الجبلية القريبة من ساحل المحيط وتمتاز هذه القبيلة المباركة عن غيرها من القبائل ا اورة لها، بكثرة الشرفاء وال البيت النبوي الأطهار، كما تمتاز بكثرة حفظة القران الكريم، وان كان هذا قد ضعف في هذا العصر، وسبب وجود هذا البيت في هذه القبيلة. مهاجرة جدهم الأعلى سيدي مزور، والذي كان رجلا صالحا دينا، تقيا، زاهدا، ولا يعرف على التحقيق، تاريخ ولادة بن مشيش، حيث يرى بعض المؤرخين من الشرفاء العلميين وغيرهم أنه ولد سنة 559هـ أو 563هـ، بقرية الحصين، ويقال أنه لم تمر عليه اثنتا عشرة سنة حتى حفظ

---

1 - النبراس في الرد على منكر القياس: هو كتاب جليل لأبي علي المسيلي، وهو كثير الوجود بين أيدي الناس، وكثرة وجود الكتاب، دليل على اعتناء الناس به، وايثارهم له. ويقول الغبريني عنه : " لقد رأيت على نسخة من نسخة ما نصه: " اعلم وفقك الله أن هذا الكتاب حسن في معناه، مخترع في الترتيب ومبناه، قل ما فيه ما ينتقد، وكثر ما يعتقد وعليه يعتمد. سلك مؤلفه فيه مسالك المهتدين، وترك مهالك الضالين المعتدين، فهو فيه على صراط مستقيم ومقصد قويم، طرزه بمعاني الكتاب العزيز، فجاء كالذهب الابريز، وسلم فيه من غلو الغالين وتحريف المبطلين، وتأويل الجاهلين،.. - وصلى الله على سيدنا محمد -.." أحمد بن عبد الله الغبريني، عنوان الدراية، المرجع السابق، ص:14.

2 - أحمد بن عبد الله الغبريني، المرجع نفسه، ص، ص: 13-18.

3 - عبد المنعم القاسمي، المرجع السابق، ص: 158.

القران الكريم بالروايات السبع[1]. ويعتبر أستاذا لأبي الحسن الشاذلي، له رسالة الصلاة المشيشية تناولها الكثيرون بالشرح والتحليل، قتله الجهلة يدعى ابن أبي الطواحين الكتامي على يد جماعة بعث م، وكان استشهاده سنة 622هـ، ودفن بجبل العلم بتطوان[2].

من أهم ما أوحى به بن مشيش، تلميذه الشاذلي، ما قاله: " أفضل الأعمال، أربعة من أربعة، المحبة لله، والرضا بقضاء الله، والزهد في الدنيا، والتوكل على الله، هذه أربعة أما الأربعة الأخرى، فالقيام بفرائض الله، والاجتناب لمحارم الله، والصبر على مالا يعني، والورع من كل شئ يلهي[3].

كما تتلمذ على يد الشيخ أبي مدين العديد من المشايخ والطلبة نذكر منهم:

- محمد بن على الصنهاجي، عبد الرزاق الجزولي.
- يوسف الكومي شيخ ابن عربي، جعفر بن سيد بونة[4].

5- دوره الجهادي في المغرب:

لقد عرفت منطقة المغرب الإسلامي على غرار المناطق الأخرى، أحداثا تاريخية، ووقائع سياسة، هامة، ولعل من أبرزها الغزو الصليبي الذي اجتاح منطقة المشرق الإسلامي، وامتدت أطماعه التوسعية، حتى بلاد المغرب الإسلامي، وفي ظل هذه الأحداث، دخل سكان المنطقة في مواجهات أخذت طابعا دينيا جهاديا، وانظم العوام والخواص، كالعلماء والأولياء من أجل أعلاء كلمة الله، ورفع راية الإسلام، بالتصدي للصليبين، ولقد كان في مقدمة الأولياء والعلماء، الشيخ شعيب أبو مدين المغربي الذي كان له الدور الكبير.

---

[1] - عبد القادر التليدي، المرجع السابق، ص، ص: 91- 92.

[2] - عبد المنعم القاسمي الحسني، المرجع السابق، ته، ص: 158.

[3] - عامر النجار، الطرق الصوفية في مصر نشأ ا ونظمها وروادها، دار المعارف، مصر، الطبعة الخاصة، ص: 85.

[4] - عبد المنعم القاسمي الحسني، المرجع السابق، ص: 158.

- انظر: يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر، ج2، ص: 17.

- يحي بوعزيز، مدينة وهران عبر التاريخ ويليه مدينة تلمسان عاصمة المغرب الأوسط ويليه المساجد العتيقة، ص، ص: 67- 68.

حيث روي عن الفقيه أبي العباس أحمد بن قريش الخزرجي التلمساني قال: سمعت شيخنا أبا محمد، صالح الدكالي رحمه الله عليه يقول: قامت الحرب مرة بالمغرب بين المسلمين والفرنج، وكان الظهور للفرنج، فاخذ شيخنا أبو مدين سيفه وخرج إلى الصحراء مع نفر من أصحابه، وجلس على كثيب، فإذا بين يديه خنازير قد ملأت الصحراء (الفرنج)، فوثب حتى صار بينهم وعلا بالسيف رءوسهم حتى قتل كثيرا منهم، وولوا هاربين فسألناه فقال: هؤلاء الفرنج وقد خذلهم الله تعالى، فأرختاه فجاء الخبر بكسو م في الوقت بعينه، وجاء ا اهدون واكبوا عليه يقبلونه، وأقسموا أنه لو لم يكن الشيخ بين الصفين لهلكوا، وأخبروا أنه كان يعلو بسيفه رأس الفارس فيصرعه وفرسه، وأنه قتل منهم مقتلة عظيمة وولوا مدبرين، وأ م لم يروه بعد الحرب، وكان بين الشيخ وبين المحركة أكثر من أشهر[1]."

ومن خلال هذا اتضح لنا، أن مشاركة أبا مدين في هذه الحرب كانت لصالح المسلمين، رغم قلة عددهم، واستطاع كسر شوكة الإفرنج، وردعهم وهذا بفضل الإيمان القوي، والثقة بالله سبحانه وتعالى ووعده بنصر المؤمنين، وهذا ما شهدته، الأمم الإسلامية من قبلهم في مواجهة الكفار لإعلاء كلمة الله، فقد قال تعالى: " إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم[2]..."وقال أيضا "...كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين[3]".

6-دوره الجهادي في المشرق :

يرتبط اسم الغوث أبي مدين شعيب الاشبيلي مولدا، الأنصاري حسبا الحسيني نسبا، البجائي موطنا، التلمساني مدفنا، بشكل صميم بأولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، فمن المأثور أنه شارك

---

1 - يوسف بن إسماعيل النبهاني، جامع كراسات الأولياء، تح، إبراهيم عطوة عوض، مركز ألسنة بركات رضا فور بندر غجرات، الهند، ج2، ط1؛ 1422هـ- 2001م، ص: 117.

انظر: عبد القادر التليدي، المطرب بمشاهير أولياء المغرب، ص: 73.

2 - سورة محمد، الآية رقم: 07.

3 - سورة البقرة، الآية رقم: 247.

في الصفوف الأمامية لمعركة حطين الشهيرة، التي قادها الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي[1] .إلى أن فتحت القدس أبوا ا يوم 02 أكتوبر 1187م، وعلى خلاف غيرهم ممن أبادوا سكان المدينة عام 1099، فان المسلمين، لم يقترفوا أي انتهاك أو ابتزاز، وكان لهذا الفتح المبين أثر في استرجاع قلاع، عكا، نابلس، يافا، الناصرة، وغزة من أيدي الصليبين، واستنادا إلى يحي أبو عبد الواحد الأمين بوكليخة[2] وزعيم خنشلاوي ومحمد الحزماوي[3] أن يده قطعت في المعركة، وهي مدفونة في مكان يسمى مقام أبو مدين.

و ذا تبركت تربة فلسطين الغالية باحتضا ا، ودفنت هناك، يشهد تلاحم المصير الحضاري المشترك للمغاربة والمشارقة، في صراعهم الأزلي ضد قوي الشر والطغيان، ضاربا أروع مثل في الفتوة الروحية، وكشهادة على سقاية الأراضي المقدسة بدماء جزائرية[4].

7- وقفية أبي مدين الغوث:

يعد هذا الوقف من أهم أوقات المغاربة وأكبرها، وقد أوقفه الشيخ لأبو مدين شعيب بن أبي عبد الله محمد بن أبي مدين الغوث، وقد أوقفها على الفقراء والمحتاجين من أبناء الجالية المغاربية في مدينة القدس عام 720هـ/ 1320م.

ويظهر من نص وقفية أبي مدين الغوث توفر الأركان الأساسية الواجبة لشرعية هذا الوقف، وهي اسم الواقف، ووصف الوقف، وشروط الواقف، والجهات المستحقة لهذا الوقف، وكيفية

---

1 - صلاح الدين الأيوبي: ولد بقلعة تكريت سنة 532ه/ 1137م، كان صلاح الدين حسن العقيدة كثير الذكر لله تعالى، قد أخذ عقيدته على الدليل بوساطة البحث مع مشايخ أهل العلم وأكابر الفقهاء، وتفهم من ذلك ما يحتاج إلى تفهمه، كان صلاح الدين عادلا رؤوفا ناصرا للضعيف على القوي، رؤوفا بالرعية، ناصرا للدين، مواظبا على تلاوة القران العزيز عالما فيه، عاملا به، لا يعدوه أبدا، وكان من عظماء الشجعان، قوي النفس، شديد البأس، عظيم الثبات. توفي سنة 589هـ. أبو خليل شوقي، حطيين بقيادة صلاح الدين الأيوبي،دار الفكر ،دمشق،

2 - يحي أبو عبد الواحد الأمين بوكليخة، حكم سيدي بومدين، المرجع السابق، ص: 2.ه

3 - زعيم خنشلاوي، محمد الحزماوي، وقف سيدي بومدين في القدس الشريف، 760هـ/ 1360م، وزارة الثقافة، القدس عاصمة الثقافة العربية 2009م، ص: 04.

4 - المرجع نفسه، ص: 04.

الاستفادة منها، والصفات التي حددها الواقف، بناظر الوقف ومتوليه وواجبا ا، وتتكون وقفية أبي مدين الغوث من مكانين منفصلين، (انظر الملاحق)(1).

7-1- الدور الاجتماعي لوقف سيدي بومدين:

لعب وقف أبو مدين دورا هاما في ا تمع المقدسي، من حيث خدمته وتنميته، فقد ساهم في أعمال الخير، وبخاصة في تقديم الطعام للفقراء المغاربة وإيواء الفقراء والمسافرين منهم، وجاء ذلك تنفيذا للشروط الواقف، ويظهر ذلك في المصاريف لتي كانت تتفق من أجل إطعام الفقراء، خلال أعياد الفطر والأضحى والمولد النبوي الشريف، ومن الأمثلة على ذلك صرف مبلغ (17.650) جنيه ثمن لوازم إطعام فقراء المغاربة في عيد المولد النبوي الشريف، و قد وزع هذا المبلغ على النحو الموضح في الجدول (أنظر الملاحق).

ساهم وقف أبو مدين أيضا بتغطية المرضى المغاربة و علاجهم بالمتشفيات و بخاصة المستشفى الفرنسي في بيت لحم، فبالرغم من أن الواقف لم يذكر في قضيته إدخال المحتاجين من فقراء المغاربة في المستشفيات بل اشترط إطعام المحتاجين و كسو م و الصرف عليهم في الأيام المباركة، غير أن إدارة الوقف طلبة من مدير الأوقاف أن يطلب من هيئة ا لس الإسلامي الأعلى إعطاء إدارة الوقف الأمر بالصلاحية بإدخال من ترى ضرورة إدخاله للمستشفى ، سواء بمدينة القدس أو بيت لحم لقر ما لمكان إقامة المغاربة(2).

قد وافق ا لس الإسلامي على ذلك، فتم علاج الكثير من أبناء المغاربة في تلك المستشفيات على نفقة الوقف، كما قامت إدارة الوقف بتقديم المساعدات المالية للفقراء والمحتاجين المغاربة ، و أوصى كل من متولي الوقف و مأمور أوقاف القدس بصفته قائم المقام المتوالي الثاني للوقف بكتاب قدماه للمدير الأوقاف في 23سبتمبر 1992م يصرف 500 مل ل 480 شخصا من أبناء الجالية المغاربية بالقدس .

---

1 - زعيم خنشلاوي، محمد الحزماوي، المرجع السابق، ص: 09.

2 - المرجع نفسه ، ص، ص:23؛24.

لم تقتصر المساعدات المالية للفقراء المحتاجين فقط ، بل كانت تطول حفظة القرآن الكريم، فكان من بين ملحقات الوقف لدار القرآن و الحفظة و كان الحفظة يكلفون بتلاوة القرآن[1]، كما حرصت إدارة الوقف أبو مدين الغوث على تنمية عقارات الوقف و استغلالها، واستثمارها ، حتى تبقى موردا ثابتا يسد احتياجاته و خاصة و أن نفقات الوقف و مصاريف كانت عالية ، ممثلة بالرواتب الشهرية لبعض الأسر المغاربية و علاج المرضى و الإطعام ، و نفقات التعمير ، لذلك لجأت إلى تأجير أراضي الوقف و تأجير بعض ممتلكات الوقف في حارة المغاربة إضافة إلى متابعة مستأجري دور الوقف من المغاربة في الحارة

لقد كان للوقف أبو مدين دور هام في فلسطين بصفة عامة ، و خاصة في القدس الشريف و مع الاحتلال الإسرائيلي عام 1948م الذي قام بسيطرة على منازل العرب وأراضي الوقف، ففي 11 جوان 1967م قامت الجرافات الاسرائلية بتهديم العقارات و المنازل، إضافة إلى تشتت السكان المغاربة البالغ عددهم 650 شخصا، و تم هدم مسجد البراق و الأفضلية وزاويتهما ومقام الشيخ حسن و مقام الشيخ عبيد، و مكتب إدارة الأوقاف وفي 18 أفريل 1968م نشرت الجريدة الرسمية بعددها رقم 1443 قرار سلطات الاحتلال الرامي إلى استملاك بعض الأراضي والعقارات التي كان من ضمنها ما تعود ملكيته لوقف أبي مدين الغوث وأوقاف المحسنين المغاربة[2].

---

[1] - زعيم خنشلاوي ، محمد الحزماوي ، المرجع السابق ،ص،ص:24¡25.

[2] - المرجع نفسه، ص، ص: 26- 34.

الفصل الثالث

التصوف عند أبي مدين

1- تعريف التصوف

2- نشأة ورواج التصوف بالمغرب الإسلامي

3- منهج أبي مدين في التصوف

4- أشهر المدارس الصوفية بالمغرب الإسلامي

1- تعريف التصوف:

أ-لغة:

بالبحث عن كلمة التصوف، لاحظ الباحث، اختلاف أهل اللغة في أصلها أهي جامدة أم مشتقة ؟ فهناك رأيان:

الرأي الأول : أ ا جامدة، وقال به: القشيري حيث قال: "هذه التسمية غلبت على هذه الطائفة، فيقال: رجل صوفي، وللجماعة صوفية ، ومن يتوصل إلى ذلك يقال له متصوف، وللجماعة متصوفة ولا يشهد لهذا اسم من حيث العربية قياس واشتقاق والأظهر أنه كاللقب[1].

العروسي[2]: الذي قال: " هو اسم جامد وقع على كل من اجتمع قلبه وقت ذكره" يقصد بذلك ذكر الله.

المقرئ[3]: الذي قال: " تصوف الرجل وهو صوفي، من قوم صوفية، وهي كلمة مولدة، وصوفي جمعها صوفية، وهى كلمة جامدة، لا يشهد لها قياس أو اشتقاق في اللغة العربية[4].

الرأي الثاني: أ ا مشتقة.

ذكر أصحاب هذا الرأي كلمات، رأوا أ ا مشتقة منها، وهي:

صوفانة: وهي بقلة زغباء قصيرة، تنبت في الصحراء، كان الصوفية يقتاتون عليها ونسبوا إليها لاكتفائهم بنبات الصحراء، ويبرر أصحاب هذا الرأي وجهة نظرهم بأن الصوفية يكتفون بالقليل منه متاع الدنيا لكن آخرون يرون أن نسبتهم لها خطأ، لأ م لو نسبوا إليها لقيل للواحد منهم صوفاني.

1- رياض صالح على حشيش، الحركة الصوفية في بلاد الشام خلال الحروب الصليبية (492هـ/ 690هـ/ 1098- 1291م)، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في التاريخ)، الجامعة الإسلامية بغزة، فلسطين، سنة 1426هـ/ 2005م، ص: 30.

2 - هو مصطفى بن محمد بن أحمد بن سوسى العروسي، فقيه شافعي مصري، تولى مشيخة الأزهر، حارب البدع وعلى رأسها عادة التسول، من أهم كتبه، نتائج الأفكار القدسية، توفي سنة 1293هـ/ 1876م.أ نظر: رياض صالح علي حشيش، المرجع السابق،ته، ص:31.

3- هو أحمد بن محمد الفيومي ثم الحموي، كان عالما فاضلا، عارفا باللغة والفقه، له كتاب المنير، توفي في سنة 770هـ/ 1368م. انظر : رياض صالح علي حشيش، المرجع السابق،ته، ص:31.

4 - رياض صالح على حشيش، المرجع السابق، ص:30.

وقيل إ ا من الصفاء: وذلك لصفاء أسرار الصوفية ونقاء أثارها لان تصفية النفس من مستلزمات التصوف، إلا أن اشتقاق التصوف من الصفاء، بعيد بحسب مقتضى اللغة.[1]

انه منسوب إلى أهل الصفة: وهم جماعة من فقراء المهاجرين، كانوا يبيتون في مسجد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مداومين على العبادة، فسمي الصوفية ذا الاسم لقرب أوصافهم من أوصاف أهل الصفة، ونسبة الصوفية إلى الصفة خطا من ناحية اللغة، لأ ا لو كانت كذلك لقيل، صفي. إنه مشتق من الصف الأول في الصلاة، أو لأ م في الصف الأول بين يدي الله ولكن النسبة إلى الصف، صفي وليس صوفي.

قيل إنه من الصوفة: لأنه مع الله كالصوفة المطروحة التي لا تدبير لها.

وقيل إ ا من الصوف وهو الرأي الذي يميل إليه الباحث، لان الصوف لباس الزهاد والعباد في ا تمع الإسلامي، يؤكد هذا الحسن البصري في قوله: " لقد أدركت بسبعين بدويا، كان لباسهم الصوف. وهذا الاختيار يلائم ويناسب من حيث الاشتقاق لأنه يقال تصوف إذا لبس الصوف كما يقال تقمص إذا لبس القميص، وهذا الرأي يميل إليه معظم الباحثين في هذا العلم[2].

ب- اصطلاحا:

لاصطلاح التصوف تعريفات عدة، تجاوزت الألف يؤكد ذاك السهروردي[3] في قوله: "وأقوال المشايخ في ماهية التصوف تزيد على الألف قول" ويعاضده قول الشيخ زروق[4]: " حد

---

1 - رياض صالح علي حشيش، المرجع السابق ص، ص: 31¡32.

2 - المرجع نفسه، ص، ص: 32¡33.

3 -السهروردي: هو أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عمويه، واسمه عبد الله البكري الملقب بشهاب الدين السهروردي، كان فقيها شافعي المذهب شيخا صالحا ورعا كثير الاجتهاد في العبادة والرياضة وتخرج عليه خلق كثير من الصوفية في ا اهدة والخلوة، توفي في مستهل المحرم سنة 632ه ببغداد، رحمه الله تعالى، ودفن من الغد بالوردية. محمد بن أبي بكر بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ج03، ص،ص:446¡447. أنظر أيضا : أعلام مشاهير الصوفية ، ص: 191-192 .

4 - زروق :هو أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى الشهاب البرنسي المغربي الفاسي المالكي ويعرف بزروق بفتح المعجمة ثم المهملة مشددة بعدها واو ثم قاف، ولد يوم الخميس 18محرم سنة846ه، نشأ يتيما وحفظ القرآن، وارتحل إلى الديار المصرية فحج وجاوز المدينة وأقام بالقاهرة نحو سنة. أنظر: شمس الدين محمد بن عبد الرحمان السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، ج1، منشورات دار مكتبة الحياة، د.م، ا لد الأول، ص: 222. أنظر أيضا: شجرة النورالزكية، ص:267-268

التصوف، وفسر بوجوه تبلغ الألفين " ولعل السبب في كثرة تعريفات التصوف يعود إلى انه تجربة وجدانية تختلف باختلاف الأشخاص، لأ م أرباب أذواق، كل منهم عرفه تبعا لما غلب عليه من الأحوال والمقامات[1].

وفي ذلك يقول القشيري: " فكل عبر بما وقع، له".

وفيما يلي نماذج مختارة جرب على السنة الصوفية من معاني التصوف.

قال معروف الكرخي[2]: " التصوف هو الأخذ بالحقائق، واليأس مما في أيدي الخلائق.

وقال ذو النون المصري: " أهل التصوف هم قوم اثروا الله على كل شيء فأثرهم الله على كل شيء.

وقال التستري: الصوفي من صفا من الكدر، وامتلأ من الفكر، وانقطع إلى الله من البشر، واستوي عنده الذهب والمدر.

وقال سمنون: التصوف أن لا تملك شيئا ولا يملكك شيء".

وقال الروذباري[3]: " الصوفي من لبس الصوف على الصفا، واطعم الهوى ذوق الجفاء، وكانت الدنيا منه على القفاء، وسلك منهاج المصطفى".

وقال أبو بكر الشبلي: " التصوف ضبط حواسك، ومراعاة أنفاسك".

وقال أيضا: " التصوف، الجلوس مع الله بلاهم."

1- رياض صالح على حشيش، المرجع السابق، ص: 33.

2- الكرخي: أبو محفوظ معروف بن فيروز، وقيل الفيروان وقيل علي الكرخي، الصالح المشهور، وهو من موالى علي بن موسى الرضا، والكرخى بفتح الكاف وسكون الراء وبعدها خاء معجمة، هذه النسبة إلى الكرخ وهو اسم تسع مواضع ذكرها ياقوت الحموي في كتابه.ومن أقواله: المحبة من مواهب الله:طول الأمل يمنع خير العمل، ما أكثر الصالحين وما أقل الصادقين. انظر: محمد بن الي بكر بن خلكان، وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: احسان عباس، دار صادر، بيروت، أنظر أيضا: عبد المنعم الجعفري المرجع السابق، ص،ص: 107¡108.
طول الأمل يمنع خير العمل * * * ما أكثر الصالحين وما أقل الصادقين
أنظر: عبد المنعم الجعفري المرجع السابق، ص،ص: 107¡108.

3 - الروذباري: هو أبو علي البغدادي الزاهد ، نزيل مصر وشيخها في زمانه ، صاحب الجنيد وجماعة وكان إماما مفتيا ،ورد عنه أنه قال أستاذي في التصوف الجنيد، وفي الحديث، إبراهيم الحربي، وفي الفقه، ابن سريج، وفي الأدب ثعلب . أنظر: الحافظ الذهبي، العبر في خبر من غبر، تح: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية، بيروت، ج 02، ط1¡1405هـ-1985م.ص: 17. أنظر أيضا عبد المنعم الجعفري ، ص :215-214.

وقال أيضا: " ألا يستغني بشيء دون الحق."[1]

قال أبو الحسين النوري: " التصوف ترك نصيب النفس جملة، ليكون الحق نصيبها".

وقال الجنيد: " التصوف هو أن تكون مع الله بلا علاقة".

وقال رويم: " التصوف استرسال النفس مع الله تعالى على ما يريده".

بالنظر إلى التعريفات السابقة يرى الباحث أن مجملها يدور حول التحلي بالأخلاق الحميدة، والبعد عن الصفات الذميمة، والزهد والت ه عن عبادة المال، والاستغناء بالله عمن سواه، والالتزام بشريعة الإسلام.

إلا أن الباحث من خلال تلك التعريفات الكثيرة، التي تجاوزت الألفين وقع اختياره على نماذج لمصطلح التصوف تشتمل على معظم هذه المعاني:

التعريف الأول:

للإمام الغزالي، الذي يعرف التصوف بقوله: " هو علم طريق الآخرة، وعلم أحوال القلب، وأخلاقه المحمودة أو المذمومة، وما هو مرض عن الله وما هو مكروه".

التعريف الثاني:

لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري، الذي يقول: " التصوف هو علم تعرف به أحوال تزكية النفوس، وتصفية الأخلاق، وتعمير الظاهر والباطن لنيل السعادة الأبدية[2].

التعريف الثالث:

للشيخ عماد الدين الأموي، حيث قال عن التصوف: " هو علم يعرف منه أحوال النفس في الخير والشر، وكيفية تنقيتها من عيو ا، وآفا ا وتطهيرها من الصفات المذمومة، والرذائل والنجاسات المعنوية، التي أمر الشرع باجتنا ا، والاتصاف بالصفات المحمودة، التي طلب الشرع تحصيلها وكيفية السلوك والسير إلى الله تعالى والفرار إليه."

1- رياض صالح حشيش، المرجع السابق، ص: 36.

2 - رياض صالح على حشيش، المرجع السابق، ص، ص: 34-35.

ويميل الباحث إلى تعريف الغزالي الذي يقول: " التصوف هو علم طريق الآخرة، وعلم أحوال القلب وأخلاقه المحمودة أو المذمومة، وما هو مرضى عند الله وما هو مكروه، والسبب في ذاك أنه تعريف شامل لكافة معاني التصوف، ولأنه يعبر تعبيرا صادقا عن صوفية عصر الحروب الصليبية، حيث إن الغزالي، من صوفية ذلك العصر فيكون تعريفه أفضل تعريف لأنه يعكس الصورة الحقيقية عن صوفية ذلك العصر، ولأنه تعريف مختصر ويحبذ في التعاريف الاختصار[1].

1-2- نشأة ورواج التصوف في المغرب الإسلامي:

كان أول ظهور الصوفية في المائة الثانية من الهجرة النبوية، ثم انتشروا بعد ذلك انتشارا واسعا في الشرق الإسلامي، ونبغ فيهم رجال بين الأوساط العلمية وغيرها، وتكونت منهم عدة طبقات، ووجد فيهم أئمة كبار من أبرزهم: الفضيل بن عياض، وإبراهيم بن أدهم، والسري السقطي، وذو النون المصري، وأبو القاسم الجنيد[2]، وسهل بن عبد الله التستري[3]، وإبراهيم الخواص، وأبو يزيد البسطامي، والحكيم الترميذي، وأبو القاسم القشيري، وغيرهم من شيوخهم وتلامذ م وأتباعهم، ممن ضمنهم أبو نعيم كتابة " المطرب" ، "الحلية" والسلمى " الطبقات "، القشيري "الرسالة" والخطيب " تاريخ بغداد".[4]

وعلى الرغم من هذا الظهور العام للتصوف والصوفية وقيام دولتهم وحركتهم في الشرق العربي والإسلامي، بقي مغربنا بمعزل عنه لم ينصبغ أهله بصبغته ولم يعرفوه كما عرفه اخوا م المشارقة، إلا في أوائل المائة الخامسة للهجرة أو قبلها بقليل، وذلك في عهد المرابطين، وعندما ظهر ذه الديار لم

---

1 -رياض صالح، المرجع السابق، ص: 40.

2-هو الجنيد أبو القاسم بن محمد، المنور بخالص الايقان، المؤيد بثابت الإيمان ، العالم بمودع الكتاب، العامل بمحكم الخطاب، الموفق فيه للبيان والصواب، كان كلامه بالنص مربوطا، وبيانه بالأدلة مبسوطا وهو اوندي الأصل، بغدادي النشأة، شيخ طريقة التصوف، من أقواله:
-مكابدة العزلة أشد من مداواة الخلطة.
-الخشوع تذلل القلوب لعلام الغيوب.-أنظر: عبد المنعم الجعفري، المرجع السابق، ص:133.

3-هو سهل بن عبد الله التستري الشيخ الأمين الناطق بالحق والعقل من المشهورين زين الطريق الصوفية، كان أوحد زمانه في علوم الرياضيات، صحب خاله محمد بن سوار ولقي ذالنون وأخذ عن الأكابر طبقة بعد طبقة حفظ القرآن وهو ابن سبع، توفي سنة283هـ بالبصرة، من أقواله: العلم ثلاثة: علم ظاهر، وعلم باطن، وعلم بين العبد وربه -.أنظر: عبد المنعم الجعفري، المرجع السابق، ص،ص: 187¡188.

4-عبد القادر التليدي، المطرب، المرجع السابق، ص:39.

يكن معروفا بمعناه المتعارف فيما بعد، بل كان مبناه على الزهد والتقشف والنسك، وحمل النفس على ا اهدة في الطاعة والوقوف مع ظواهر الشريعة دون تغلغل في علوم المكاشفات والحقائق، ولذلك لم يوجد في العصر صراع بين المتفقهة والمتصوفة، كما وقع بعد ذلك وكما حصل في الشرق قبل هذا العهد أيضا بزمان لأ م لم يأتوا بشيء جديد يخالف ظاهر الشريعة، كما يراه الفقهاء على أن هذه الظاهرة كانت موجودة في القرون الأولى بكثرة وحتى في البلاد الأندلسية ، وهذه العدوة المغربية، فقد وجد فيها كثير من الزهاد والنساك والمتقشفين، منذ دخلها الإسلام كما نرى ذلك جليا في الطبقة العلمية في "تاريخ العلماء" لابن الفر طي و"الصلة" لابن بشكوال و"الديباج" و"المدارك "وغيرهما.[1]

ففي الوسط المائة الخامسة دخلت بعض كتب التصوف للمغرب، حيث كان قد جاء ا من مكة المكرمة "أبو عبد الله محمد بن سعدون القيرواني" نزيل أغمات من بلاد مراكش والمتوفى ا سنة485هـ، ولكن ذلك كما يظهر لم يحدث بين الأوساط العلمية والدينية أثرا، ولا حصل بين الفقهاء والمتزهدين، سبب ذلك تنافر ولا صراع، ولكنه في أواخر هذا القرن فوجئ العلماء ب"إحياء علوم الدين" للإمام الغزالي، فتصحفوها ورأوا فيها ما لم يألفوه فأفتوا بإحراقها وتحرين قراء ا، وكان الذي يتولى كبر هذا الحادث الخطير الذي لم يقع أشنع منه، كما يقول صاحب "الإستقصا" في زمن المرابطين، وعقب هذه الحادثة وقع إنخرام في دولة المرابطين وجعل أمرها يتدهور ويضطرب وحصل انحلال فيها وانتشر الظلم والفجور وظهر منشئ دولة الموحدين "المهدي بن تومرت" الذي كان ابتداء من ظهوره سنة515هـ، وحصلت فتن وحروب ومعارك أهلية لم دا إلا باضمحلال دولة المرابطين وسقوطها والأمر لله وحده.

والمقصود أن أول ظهور التصوف كان أيام المرابطين، وفي أواخر دولتهم انتشر في المغرب والأندلس لاسيما بعد دخول "الإحياء" لهذه الديار فإن هناك من كان قد شغف بالكتاب على الرغم

1-عبد القادر التليدي، المرجع السابق، ص،ص:39؛40.

مما كان حاصلا من فتنة من يوجد عنده فهذا أبو الفضل بن النحوي، ذكروا عنه أنه قد كتب "الإحياء في ثلاثين جزءا واعتكف على قراءته وخاصة في شهر رمضان، فكان يقرأ كل يوم حصة منه وكان يقول: وددت أني لم أنظر من عمري سوى هذا الكتاب.(1)

وكما عرف التصوف، رواجا كبيرا في منطقة المغرب العربي الإسلامي، خاصة في مدينة فاس، وذلك خلال العصر المرابطي والموحدي، حيث عرف الكثير من الصالحين الذين اتخذوا التصوف منهاجا لحيا م وتجمعوا حول هؤلاء الأتباع والمريدون، ينهلون من علمهم ومعرفتهم، وكانت الملامح البارزة لهذا التصوف هي الزهد ومجاهدة النفس، والإكثار من العبادة والأذكار، ولم يكن تصوفا فلسفيا، وامتازت هذه الفترة بوجود بعض أقطاب الصوفية، حيث صارت لها فيما بعد تأثيرا في الحياة السياسية بالمغرب، فضلا عن الحياة الروحية، ولم يأخذ التصوف صيغته المتميزة في العهد المرابطي، حيث لم تتكون الطرق والجماعات إلا مع بداية العصر الموحدي، فكان أقطاب التصوف الذين ظهروا في العصر المرابطي قد عاشوا قسطا كبيرا أو قليلا من حيا م في عهد الموحدين، وتركت أصابعهم بصما ا على صفحة الحياة في مدينة فاس، حيث التفت الكثير من أبناء المدينة حولهم يعظمو م وي لو م م لة التقديس.(2)

1-3- عوامل رواج التصوف بالمغرب الإسلامي

لقد انفتحت منطقة المغرب الإسلامي تلقائيا للصوفية، مع التطور الإسلامي الذي أدى إلى ظهور المدرسة وتصدر الدولة للتعليم الديني، فالصوفية استيراد مشرقي أيضا ولكنها استغرقت وقتا طويلا لتقصد بلاد المغرب.(3)

1-اعبد القادر التليدي،المرجع السابق، ص:40.

2-جمال أحمد طه، مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين،(448هـ/1056م إلى668هـ/1269م)، دراسة سياسية وحضارية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2001م، ص،ص:296؛297.

3-جورج مارسيه، بلاد المغرب وعلاقا ا بالمشرق الإسلامي العصور الوسطى، تر: محمود عبد الصمد، هيكل منشأة المعارف الإسلامية، الاسكندريه، 1991م، ص،ص: 332؛333.

كان انتشار التصوف بالمغرب الإسلامي لدليل على أنه قد توفرت عوامل تشبه تلك التي أفرزته بالمشرق، وامتدت جذوره بالمغرب الإسلامي الذي شكل البيئة الملائمة لانتشاره، فكانت حركة التصوف نتيجة لتراكم عدة عوامل: سياسية، اقتصادية، دينية، اجتماعية خلال العصر المرابطي والموحدي.[1]

اختلفت الآراء حول أسباب ظهور التصوف بالمغرب الإسلامي فذهب بعضهم إلى أفكار "محمد بن عبد الله بن مسرة" (269هـ-318هـ/883م-921م) ك"أنخل جتثالث بالنثيا –A-Gonzailez Palencia)"[(2)]، أما "بل ألفريد (Bel Alfred) " فرأى أن ذلك يرجع إلى الحياة الاجتماعية المترفة والباذخة التي عاشها المرابطون، هذا فضلا على سيطرة الفقهاء على الأمراء المرابطين، كما أنه رأى في الـ عة العقلية التي اتبعها ابن تومرت والموحدون من بعده عاملا ساهم في انتشار التصوف، إلى جانب أن عقلية ا تمع المغربي التي كانت عقلية مقدسة للأولياء منذ القديم.[3] إضافة إلى هذين العاملين يمكن إرجاع انتشار التصوف إلى عوامل أخرى تمثلت في:

1- العوامل الدينية:

أ- نزعة الزهد:

عرف المغرب الإسلامي، نزعة الزهد منذ القرن الرابع للميلاد، لتأثره بنظام الرهبنة المسيحي، الذي انتقل إليه من مصر في الفترة التي اشتد فيها الصراع بين المغاربة والسلطة الرومانية، وكانت للفتوحات الإسلامية دور هام في نشر الزهد، الذي ميز حياة الفاتحين أنفسهم، والذين عملوا على الجهاد من أجل نشر العقيدة الإسلامية بشكلها البسيط.

1-زينب ملياني، التصوف بالغرب الإسلامي في عصري المرابطين والموحدين،(مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي الوسيط)، جامعة الجزائر، 2006م-1427/2007هـ-1428هـ، ص،ص:29؛30.

2-أنخل جتثالث بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، تر: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ماي1955م، ص:26.

3- ألفرد بل، الفرق الإسلامية في الشمال الأفريقي من الفتح العربي حتى اليوم،تر: عبد الرحمان بدوي،ط3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987م، ص،ص:378؛379.

كما يجدر بنا الإشارة إلى دور المذهب المالكي نفسه، في نشر حركة الزهد والتقشف، فما أوثر عن فقهاء القيروان المالكيين عدم رضوخهم لرغبات الأمراء، وإغراءات الحياة، فشكلوا بذلك مثالا للزهد، وزاد انتشار الزهد خلال القرن العاشر للميلاد، حيث كثر الزهاد بالمغرب الإسلامي، ونذكر منهم: الحارث بن أسد القفصي وجبلة بن عبد الرحمان بن جبلة الصدفي الذي عرف بزهده وورعه، وكان والده من أصحاب السلطان مما اضطر جبلة إلى التخلي عن أموال والده، وتبدأ منها، إلى جانب أبي الفضل العباس بن محمد الصواف القداسي (ت 349هـ -969م)،وكذلك أبي عبد الله محمد الخياط الواعظ الملقب بابن قمرة المتقشف، وامتد انتشار الزهد، في المغرب الإسلامي، وفي افريقية منذ الفتح الإسلامي لها، حيث مال أهلها للجهاد والمرابطة(1).

ب- انتشار الربط:

تزامنت حركة المرابطة و انتشار الرابط بالمغرب الإسلامي، مع تعرضه لغارات البيزنطيين بعد الفتوحات الإسلامية، حيث رأي المسلمون أن حركة المرابطة في الثغور المتاخمة للعدو والجهاد في سبيل الله، فاتخذوا من القيروان رباطا للدفاع عن المسلمين من غارات الروم، وازداد انتشار الربط فأنشأ الأغالبة رباط سوسة سنة 206هـ/ 822م، واشتهر الربط عندهم باسم القصور والمحارس، واهتم المرابطون بالتدريب العسكري، والفروسية، حتى يصدوا هجمات العدو، كما ركزوا اهتماما م، في وقت السلم على الجانب العلمي كحفظ القران الكريم وتفسيره، إلا أن الربط لم تظهر بالمغرب الأوسط إلا بعد القرن الخامس للهجرة/ القرن الحادي عشر للميلاد(2).

ويرجع ذلك لحركة الجهاد البحري التي كانت المراسي مركزا لها، فنابت عن حركة المرابطة، وشكلت كل من المرية وبجاية مركزا تنطلق منها الحملات.

من الربط التي أنشرت بالمغرب الأقصى، رباط هرغة ببلاد السوس وأصيلا، ورباط أقيم قرب فاس، ورباطي أسفي وجبل الفتح، هذا الأخير الذي شكل خلوة للعباد والعاكفين.

1- ألفرد بل ،المرجع السابق، ص، ص: 30- 34.

2- زينب ملياني، المرجع السابق، ص: 35.

والجدير بالذكر أن هناك نوعان من الربط التي عرفتها كل من بلاد المغرب والأندلس، إذ شكلت ربط مدن بكاملها، كرباط ماسة، ورباط تيط، ورابطة زرهون التي كانت مركزا الاجتماع المتصوف أبي عبد الله محمد بن موسى الازكاني مع الصالحين، أما النوع الثاني فهو عبارة عن مكان برابط فيه ا اهدون، وأقيمت الربط على مقربة من مقابر الأولياء والصالحين، كرباط العباد، الذي نسب لأبي مدين شعيب بتلمسان(1).

و ذا فان المغرب الأقصى عرف خلال القرن الخامس هجري، نوعا من الربط، جمعت بين التربية والتعليم من جهة والجهاد من جهة أخرى.

ج- دور الرحلات الحجية والعلمية ومؤلفات المتصوفة:

لم يكن المغرب الإسلامي في معزل عما يجري بالمشرق، وذلك بحكم العلاقة بينهما ، وقد شكلت رحلات المغاربة من فقهاء وطلبة وزهاد لأداء فريضة الحج عاملا مهما ساعد على التأثر بما يجري في المشرق الإسلامي ، خاصة وأن الحجاج المغاربة كانوا يلتقون كبار العلماء والفقهاء المشارقة ممن ذاع صيتهم في كل أنحاء العالم الإسلامي ، هذا فضلا عن رحلات طلب العلم التي تمكنوا من خلالها تكوين معارف مختلفة ، إذ حضروا حلقات التدريس ومجالس العلم بالمساجد، والرباطات ، انطلاقا من هذا حمل العلماء والفقهاء أفكار والثقافات التي تأثروا ا إلى بلادهم.(2)

وقد رأى ابن خلدون وجوب القيام برحلات طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال.(3)

مما يلاحظ هو رواج مصنفات ، كل من الجنيد والغزالي بين المغاربة فهذا صالح بن حرزهم قد أخذ عن الغزالي ببلاد المشرق ، ثم قام بتدريس طريقته في التصوف بفاس ، إضافة إلى الشيخ أبا مدين شعيب الذي لقي الشيخ عبد القادر الجيلاني أثناء تواجده بالمشرق حيث أخذ عنه الطريقة وكان عبد

1-زئنب ملياني، المرجع السابق، ص، ص: 36- 37.

2 - المرجع نفسه،ص:40.

3-عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة، تح: لونان ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1423هـ/2004م،ص:560.

القادر الجيلاني دائما يشير إلى وجود متصوف يضاهيه وهو أبو يعزى، مما يؤكد قوة تأثير متصوفة المشرق وعلماءه ، على أمثالهم من المغرب .

كما لعبت الإجازات العلمية التي تحصل عليها بعض العلماء دورا هاما في نقل التصوف إلى المغرب الإسلامي ، إذ عملوا بعد رجوعهم من المشرق على تدريس ما أخذوه هناك من علوم، إلى جانب رحلات التجار، فنقلت بذلك الكتب والمصنفات الصوفية، كرعاية حقوق الله للمحاسبي التي كان يدرسها عبد العزيز التونسي (ت486هـ/1093م)، ودرس سعدون القروي (ت في القرن 5هـ/11م) مجموعة من المصنفات التي جاء ا إلى المغرب الأقصى ، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد فقط ، بل تعداه ، إذ أن بعض المتصوفة المشارقة كانت لهم زيارات إلى بلاد المغرب مما زاد في انتشار التصوف أكثر[1].

2- العوامل السياسية:

أ- سياسة الدولة المرابطية:

عمل المرابطون بعد نجاح دعو م على إتباع سياسة المذهب الواحد ،فقامت دولتهم على المذهب المالكي ، وأصبحوا يرجعون إليه في أمور دولتهم الدينية والدنيوية ، وقد وجدوا سكان بلاد المغرب يتبعون جملة من المذاهب، انتشرت بينهم ،مما ساهم في اضطراب أحوال البلاد واشتعال نار الفتن والخلافات بين منتحلي تلك المذاهب، بالمغرب الأقصى وجد أهله ضالتهم في المذهب المالكي، الذي يرجع الفضل في تبنيه وحمايته للمرابطين، وحتى علماء المرابطين ذا م كانوا قد تبنوا المذهب المالكي و لموا منه، كأبي عمران الفاسي، وعبد الله بن ياسين الجزولي مؤسس الدعوة المرابطية، والذي زار بلاد الأندلس و ل من علومها.

اعتبر المرابطون هذا المذهب مذهبا رسميا لدولتهم ، فحوربت على إثرها المذاهب الأخرى، واضطهد كل من تكلم في غير المذهب المالكي ، كما حظي الفقهاء المالكية بمكانة مرموقة لدى أمراء

1-زينب مليباني ، المرجع السابق ، ص، ص: 41؛42؛43.

الدولة المرابطية ، إذ التزم هؤلاء الأخيرون بتوجيها م ، فيوسف بن تاشفين ،عظم شأن الفقهاء والعلماء عندهم،كان يصرف الأمور إليهم ، وكذا ابنه علي الذي اشتد إيثاره لأهل الفقه والدين وكان لا يقطع أمرا في جميع مملكته دون مشاورة الفقهاء ... فبلغ الفقهاء في أيامه مبلغا عظيما، ولم تعلوا مكانة الفقهاء عند الأمراء فقط بل راحت العامة ترفع من شأ م أيضا، كما لم يمنع موقف الفقهاء المعادي للفلسفة ظهور فلاسفة ، اشتهروا وذاع صيتهم في عصر المرابطين أمثال ابن باجة (ت533هـ/1138م)، ابن طفيل (581/506هـ-1185/1110م) وابن رشد الحفيد(591/526هـ-1194/1126م)، فضلا عن وزير الأمير علي بن يوسف، الفيلسوف مالك بن وهيب الاشبيلي الذي نبغ في الفلسفة هو الأخر.(1)

بيد أن كتاب "إحياء علوم الدين " للغزالي كان من أهم المصادر الصوفية التي عرفها متصوفة الغرب الإسلامي ، لقد جلبه ابن العربي عند عودته من المشرق ، كما أن ميمون بن ياسين المغربي هو الأخر أحضر معه "الإحياء" إلى مراكش، بعد عودته من الحج (497هـ/1104م) ، ومما يؤكد رواجه وتداوله أنه وجد ببلاد المغرب معروضا للبيع.(2)

في سنة 503 للهجرة أصدر الأمير المرابطي علي بن يوسف بن تاشفين مرسوما يقضي بحرق كتاب " الإحياء " وطرد كل من وجد عنده ، غير أن إن إقدام المرابطين على عداء مؤلف الغزالي لم يمنع من تداوله فيما بعد بين الناس حتى أن بعضهم كتبه بماء الذهب ، وعارض الكثير من العلماء أمر حرقه.

في عصر الموحدين عرف كتاب "الإحياء" انتشارا واسعا إذ سمح بقراءته فقام العديد من العلماء بنسخه ، واعتكفوا على حفظه ، واستعملوا أذكاره وأدعيته ، وأشاد الشيخ أبا مدين بمكانة الإحياء، والذي نسخه هو الأخر، ودرسه في مجالسه ، كما تأثر أبو علي الحسن بن علي بن محمد

1-زينب ملياني، المرجع السابق، ص، ص:46؛48؛49.

2-زينب ملياني، المرجع السابق، ص:42.

المسيلي بالغزالي ، حتى سمي أبو حامد الصغير وألف كتابه " التفكير فيما تشمل على السور والآيات من المبادئ والغايات " وسلك فيه نفس أسلوب أبي حامد في كتابه الإحياء .

كما قام أبو المطرف احمد بن عبد الله بن عميرة المخزومي (ت 658هـ/1259م) ، بتدريس تلحيقات السهروردي ببجاية .

بيد أننا نجد متصوفة المغرب الإسلامي قد ساهموا بأنفسهم في نشر التصوف من خلال ما ألفوه من كتب في هذا ا ال. والتي تضمنت طريقة التصوف وأفكارهم واتبعوا فيها تعاليم الإمام الغزالي ، وهدفهم من ورائها ، تسهيل الطريق على المريد، وكذا الوعظ، والترغيب ، خاصة في الجهاد، وكذلك الفضل الكبير في الصلاة على النبي– صلى الله عليه وسلم-[1]، وفي ظل التعصب العقدي الذي ميز سياسة المرابطين، وخضوع هؤلاء الأخيرين للفقهاء، فقد ظهرت مجموعة من الزهاد والمتصوفة، فممن أرادوا تغيير تلك السياسة، ومحاولة التفتح والاطلاع على العلوم المحظورة في عهدهم.

فالمرابطون يمكن القول بأ م قد ساهموا أيضا في نشر فالمرابطون يمكن القول بأ م قد ساهموا أيضا في نشر التصوف، وذلك لترغيب الناس في الزهد، فحيا م غلب عليها الزهد والتقشف، فعبد الله بن ياسين مؤسس دعوا م مكث بين الجدارين متورعا عن أكل لحمهم وشراب ألبا م لما كانت أموالهم غير طيبة، وإنما كان عيشه من صيد البرية [2]، ويوسف بن تاشفين كان رجلا فاضلا زاهدا، يأكل من عمل يده، كثير الخوف من الله عز وجل، حيث لبس الصوف واعتاد على أكل الشعير، واحب الفقهاء والأولياء وكان يقر م منهم، وابنه رعلي هو الآخر كان حسن السيرة نزيه النفس بعيدا عن الظلم، كان يعد من الزهاد والمترتليين أقرب منه أن يعد من الملوك والمتغلبين، وتاشفين بن

[1] - زينب ملياني، المرجع السابق، ص،ص:43؛44

[2]- زينب ملياني، المرجع السابق، ص ص: 49- 50.

علي أشتهر لقراءته لكتب المريدين، وباتعاده عن شرب المسكرات وغيرها من ملاذ الحياة[1] هذا غلى جانب الأمير أبي زكريا بن يوهان الصنهاجي الذي اتبع طريقة الصوفية وكذلك أبو إسحاق باران بن يحي المسوفي أحد الزعماء الملثمين الذين تلقى على بعض مشايخ الصوفية[2].

خلاصة القول هي أن الأمراء المرابطين قد شكلوا قدوة لغيرهم، من خلال تقشفهم وزهدهم، مما ساهم في إقبال العامة على هذه الحياة التي آثارها ذووا السلطان من أمرائهم وزعمائهم [3].

ب- سياسة الدولة الموحدية:

قامت الدولة الموحدية كنظير ا المرابطية، على أسس دينية وذلك بفضل مؤسسها المهدي بن تومرت، الذي سن لاتباعه مذهب التوحيد [4]، وكان ورعا ناسكا متقشفا، حيث عمل على تغير المنكر [5] والنهي عنه والأمر بالمعروف قد المستطاع، هذا فضلا عن محاربة المرابطين، الذين أعب عليهم تلك العادات السيئة التي وجدهم عليها من تشبه بالنساء، وشرب للخمر وغيرها، وروح النقد والتغيير، ومحاربة الفساد التي اتصف ا المهدي، ما هي إلا نتيجة لتحصيله العلمي ببلاد المشرق، حيث ل من علومها وتأثر بكبار مشايخها، أمثال أبي حامد الغزالي، وابي بكر الطرطوشي، ممن ثاروا على التقليد وحاربوا البدع، وكان لرحلته إلى المشرق في طلب العلم وتحصيله الأثري البالغ في تكوينه المذهبي، إذ أخذ هناك العلم عن أكبر العلماء وأشهرهم، حيث تتلمذ بالمشرق على أئمة الأشعرية [6] وأخذه عنهم كان له الأثر الكبير في تكوين مذهبه.

---

1 - ابن عداري، البيان المغرض في أخبار الأندلس والمغرب، القسم الموحدي، تح: محمد إبراهيم وآخرون، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1406هـ - 1985م، ص: 79.

2 - ابن الزيات، المصدر السابق، ص ص: 101؛ 102؛ 241؛ 242.

3 - زينب ملياني، المرجع السابق، ص: 50.

4 - ألفريد بيل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، ترجمة عبد الرحمان بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987م، ط3، ص: 249.

5 - البيذق، المصدر السابق، ص: 39.

6 - الأشعرية: نسبة لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري الذي ينسب غلى أبي موسى الأشعري. أنظر: الشهرستاني، الملل والنحل، تح، أمير علي مهناء وآخرون، دار المعرفة، بيروت، ج1، ط6؛ 1417هـ - 1997م، ص: 106.

كما اهتم المهدي بالجانب الاجتماعي لتشكيل مجتمع جديد رقائم على الاخلاق والعادات التي تتوافق مع الشريعة الإسلامية، فعمل على تحقيق عدالة اجتماعية بين أفراده من خلال المآخاة بين القبائل، وعمل على القضاء على العصبية القبلية، وكان له الأثر البالغ في بروز نخبة من المتصوفة، ممن عملوا على رفض الحجج العقلية التي نتجت عن هذه العقيدة، ومحاولة استبدالها بعقدية أبسط تقوم على ما كان عليه السلف الصالح ليسهل على الناس اتباعها، فقام تصوفهم على الزهد والتقشف، والإقبال على المولى عز وجل في الباطن والظاهر.

ومنهم الشيخ ابو مدين شعيب وكذلك ابو زكريا يحي الزاواوي، الذي انقطع عن الدنيا وهم من اصحاب أبي مدين شعيب وغيرهم كثير[1] وبعد وفاة المهدي بن تومرت (ت 524هـ- 1130م)، واصل الموحدون الطريق الذي بدأه هو، ففرضوا تدريس المذهب الأشعري من خلال ما الف فيه، كمؤلفات الغزالي (ت 505هـ - 1111م)، غلى جانب استخدامهم التأويل الذي اعتمد عليه مذهب مؤسس دولتهم كما سبق الإشارة إليه، وقد عرف التيار الصوفي الفلسفي ازدهارا في عصر الموحدين نظرا لوجود حركة تشجيع الفلسفة [2].

ويعتبر الخليفة الذي تبنى هذه الحركة من أهم خلفاء الدولة الموحدية، والذي أقدم على تعلم الفلسفة، حتى أنه اجتمع إليه أشعر الفلاسفة آنذاك، أمثال ابو بكر بن محمد بن طفيل (ت 581هـ- 1185م)، ومحمد بن أحمد بن رشد، واقدم على حرق كتب المذهب المالكي بعد تجريدها من الأحاديث والقرآن الكريم، وفي مقدمتها مدونة سحنون، من اجل القضاء على هذا المذهب ومحوه، وقام بامتحان القائمين على تدريسه[3] فكان بذلك لسياسة أبي يعقوب اتجاه الفلسفة أثر بالغ في ظهور متصوفة أصحاب الترعات الفلسفية، كابن عربي وابن سبعين وغيرهم ممن كانوا بالمغرب[4].

---

1 - ابن القنفذ القسطنطيني، المصدر السابق، ص: 27.

2 - زينب ملياني، المرجع السابق، ص: 53.

3 - المرجع نفسه، ص: 54.

4 - الغبريني، المرجع السابق، ص: 185.

4-1- عوامل انتشار التصوف في الجزائر:

يرى معظم الباحثين أنه لا يمكننا الآن معرفة البداية الحقيقية للتصوف بالمغرب الإسلامي، إذ تنقصنا الأدلة والبراهين على ذلك، ويميلون إلى أن التصوف في صورته الأولى الزهدية قد يكون موجودا منذ الفتحات الإسلامية.

أما بالمفهوم الدقيق للتصوف والذي اصطلح عليه فيما بعد، فقد ظهر أولا بالمشرق ثم انتقل مع المعابر الأربعة التي انتقلت بواسطتها الأفكار إلى بلاد المغرب العربي وهي: الحج، طلب العلم، الكتب والمؤلفات، التجارة[1].

وقد اعتبر الباحثون أن عمران الفاسي [2]، هو من أدخل تعاليم الجنيد إلى إفريقيا، أما وصول المؤلفات الصوفية فمن أقدم الإشارات، حسبما تشير غليه المصادر من حض المغربي عبد العزيز التونسي (ت 486هـ) مريديه على قراءة رعاية المحاسبي، وكان هذا في اواسط القرن الخامس، قبل أن يصل كتاب الإحياء.

والتصوف بالمغرب الإسلامي، ظل متأثرا بالتصوف في المشرق في البداية، حتى أن المدارس الصوفية الاولى التي ظهرت بالمغرب كانت نتاج التصوف في المشرق، مثلما يتجلى ذلك عند ابي يعزى، أبو مدين، الذي يعتبر احد أوتاد التصوف بالمغرب الإسلامي، مدرسة ابن مسرة [3].

أما بالنسبة للجزائر تحديدا، أو ما يعرف قديما بالمغرب الأوسط، فقد انتشر التصوف على مدى واسع، وغطى مناطق عديدة من الوطن، ففي كل بقعة منه زاوية أو مقام ولي صالح، وحلقة ذكر أو شيخ طريق يدعوا غلى التمسك بالشريعة، والاقتداء بسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم.

---

1 - عبد المنعم القاسمي، أعلام التصوف في الجزائر، المرجع السابق، ص: 24.

2 - ابا عمران الفاسي: أصله من فاس كان من مشاهير فقهاء المالكية وصار رفيع المكانة عند الصوفية في المغرب في القرنين السادس والسابع الهجريين، توفي سنة 1430هـ - 1038م. أنظر الفريد بيل، المرجع السابق: ته، ص: 228.

3 - هو محمد بن عبد الله بن مسرة القرطبي (269هـ - 319هـ/ 883م- 931م) وقد \اسس مدرسته الفلسفية بمكان منعزل يقع في جبال قرطبة، قد ناهز الثلاثين إلا قليلا، وكان أول من ذهب غلى الجمع بين معالم صفات الله تعالى. أنظر، محمد إبراهيم الفيومي، تاريخ الفلسفة الإسلامية في المغرب والأندلس، دار الجيل بيروت، ط1؛ 1417هـ - 1997م، ص ص: 274؛ 276.

من القضايا التي عرفت اهتمام كبيرا: أن التصوف قد بدأ في المغرب الإسلامي تصوفا نظريا، ثم تحول ابتداءا من القرن التاسع الهجري، واتجه غلى الناحية العلمية والصرف، وأصبح يطلق عليه تصوف الزاويا والطرق الصوفية، وقد ظل هذا التصوف العلمي سائدا في جميع أنحاء المغرب العربي حتى بعد سقوط الدويلات الثلاث ودخول الأتراك العثمانيين[1].

والتصوف النظري هو الذي يخوض فيه العلماء والطبقة المثقفة، يركز على الجانب النظري من الفكر الصوفي، وهو يتطلب مستوى معينا من الثقافة والعلم، وأن يكون صاحبه على اطلاع واسع بأحكام الشريعة الإسلامية، والتصوف العلمي هو الذي يركز فيه المريد على بعض الممارسات الفردية أو الجماعية مثل حلقات الذكر، الإنشاد[2].

قبل أن يتسرب التصوف النظري إلى مختلف الطبقات وشرائح ا تمع، كانت المناقشات والمطارحات الفكرية والعلمية، تدور بين العلماء والفقهاء فقط، ويدرس هذا العلم لطبقة معينة من الطلبة، وما عرف في تلمسان في القرن التاسع (الصراع بين الفقهاء والمتصوفة أو أزمة السلفية أو المتصوفة كما يحلو للبعض أن يسميها)، لم تـ ل إلى الأوساط الشعبية[3].

كان من أوائل الذين نشروا التصوف بالجزائر: الشيخ عبد السلام التونسي[4]، أبو مدين الغوث... ومن أقطابه ايضا نذكر على سبيل المثال: عبد الرحمن الثعالبي، أحمد بن عبد الله الزواوي، إبراهيم التازي، الإمام السنوسي[5]، ابن زكري، أحمد زروق[6]، أحمد بن يوسف الملياني...

---

1 - عبد المنعم القاسمي، المرجع السابق، ص: 25.

2 - عبد المنعم القاسمي الحسني، أعلام التصوف في الجزائر، المرجع السابق، ص: 25.

3 - المرجع نفسه، ص: 26.

4 - هو الشيخ أبو محمد عبد السلام التونسي، درس على عمه عبد العزيز وكان عالما فاضلا لا تأخذه في الله لومة لائم وهنو من شيوخ الخليفة عبد المؤمن بن علي الكومي، كانت وفاته بتلمسان عام 589هـ - 1193م، ودفن بالعباد ثم دفن الشيخ أبو مدين بعد وفاته بجواره في روضته. أنظر: محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان، المرجع السباق، ص: 419.

5 - هو أبو عبد الله محمد بن يوسف السنوسي نسبة إلى بني سنوس قبيلة معروفة قاطنة في الجبال الواقعة غرب تلمسان، ولد ـذه البلدة عام 832هـ - 1428م، و ا نشا وأخذ عن الشيخ الحسن أبركان والشيخ نصر الزواوي وغيرهما وصار من أكابر علمائها وتبحر في العوم كلها وله تأليف كثيرة تبلغ 45 منها شرحه الكبير المسمى بالمقرب المتسوفي على الحوفي ألفه وهو ابن تسعة عشر سنة، وكانت وفاته عام 895هـ - 1490م، وقبره مشهور في تلمسان. أنظر: محمد بن رمضان الشاوش، المرجع نفسه، ص ص: 511؛ 512.

6 - هو أبو عبد الله محمد بن مرزوق الشهير بالخطيب والجد والرئيس الملقب بشمس الدين، ولد بتلمسان عام 710هـ - 1310م، نشا ا وتلقى مبادئ العلوم، ذهب غلى الحجاز لأداء فريضة الحج ثم دخل الشام ومصر، واخذ عن مشايخ المشرق ثم رجع إلى المغرب توقف بتونس وبجاية،=

وغيرهم، وسنذكر هنا بعض عوامل واسباب انتشار التصوف بالجزائر ونستطيع تقسيمها إلى اسباب فكرية، سياسية، اجتماعية[1].

1– أسباب سياسية:

أ - سقوط الدولة الموحدية:

والتي كانت تمثل دولة قوية واجهت الغزو الإسباني، ولأسباب داخلية وخارجية، تدهورت أوضاعها مما أدى غلى المزيد من الانحلال، وبعد سقوطها وتفكك السلطة تغيرت الأوضاع جذريا وساد الاضطراب، والفوضى كل مناحي الحماية، ولم يجد الناس عزاءا إلا عند الصوفية في حماية أنفسهم واموالهم، وقد قام الصوفية بدور الدولة من حماية النفس والأموال، والطرقات، بفضل ما كانوا يتمتعون به من احترام وتقدير لدى مختلف طبقات الشعب، وهنو ما يلخصه قول أحد الباحثين: وهكذا تلاشت سلطة الدولة أمام سلطة الزاوية.

ب – سقوط الأندلس:

نتيجة التدهور السياسي الذي اصاب الأندلس عقب سقوط الدولة الأموية (ت 430هـ)؛ وقيام دولة ملوك الطوائف (430هـ- 480هـ) وحتى بعد قدوم الأتراك استمر الصوفية في أداء دورهم الجهادي ومساعدة الأتراك في محاربة الغزو الإسباني، ومواقف أبي طالب المازوني، واحمد بن ثابت التلمساني شاهدة على ذلك، وقد ذهب كل من المشرفي والزياني أن تحرير وهران من الإسبان كان بجموع الطلبة والصوفية المرابطين حول المدينة بعساكر الأتراك، ودعوة الشيخ عبد الرحمان الثعالبي إلى الجهاد ورسالته في ذلك شاهدة بدورها، ويذكر لنا التاريخ أن زاوية إبراهيم التازي بوهران كانت مليئة بالأسلحة والذخائر نظرا للجو الذي كانوا يحيون فيه[2].

=واجتمع بأكابر علمائها، ثم رجع إلى تلمسان، تولى عدة وظائف علمية ودينية وقضائية في مصر وبقي فيها إلى أن توفي بالقاهرة عام 781هـ- 1379م. أنظر: محمد بن رمضان شاوش، المرجع نفسه، ص: 494.

1 - عبد المنعم القاسمي، المرجع نفسه، ص: 26.

2 - عبد المنعم القاسمي، المرجع السابق، ص ص: 28؛ 29.

كما هاجر الكثير من صوفية الأندلس إلى الأراضي الجزائرية، وقد أحصينا رعددا لا باس به منهم الذين انتقلوا إلى المغرب الأوسط، واستقروا إما ببجاية أو تلمسان، وهناك منهم من واصل سيره إلى المشرق بعد أن ترك أثره هنا، وتلامذة وطريقة كاملة، ولعل من أشهرهم: الإشبيلي، الحرالي، ابن سبعين، وكان تأثيرهم قويا في دفع التيار الصوفي إلى الأمام وتكوين الجماعات الصوفية الأولى بالمغرب الأوسط [1]

2- أسباب اجتماعيه:

أ - انتشار البذخ والترف عند طبقات معينة، نتيجة الثراء الفاحش، مظاهر الترف والاستمتاع التي ميزت فقهاء المرابطين ، مما لأثر مباشرة على مشاعر الطبقات الشعبية الكادحة.

وقد دخل المجتمع المرابطي في أزمة عميقة بعد وفاة يوسف بن تاشفين سنة (500هـ/1106م)، نتيجة التفاوت الطبقي الكبير الذي أصبح يعيشه ، ووجود طبقة عريضة من الفقراء والمحرومين، والتي لم تجد إلا الصوفية ملاذا ، ولم تعالج الدولة المرابطية الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية المتردية، بل تركت الأمور على حالها [2].

ب- تراجع القيم الدينية والأخلاقية حيث أهمل الخاصة والعامة الكثير من مبادئ الدين وسلوكهم القويم، وقد حارب الصوفية هذا الانحراف وقاوموا بكل السبل والطرق هذه الاختلالات، مما أدى إلى انتشار مذهبهم [3] ويلخص الأستاذ يحي هويدي الأسباب الاجتماعية في قوله: " ففي هذه القرون التي أعقبت تفكك الموحدين وسقوط دولتهم سرت في جموع أجزاء المغرب الإسلامي روحا جديدة جعلت الشعب يقبل إقبالا لم يعرفه من قبل على أمور المجاهدة والكشف، وينخرط في الزوايا والربط، ويؤمن بالأولياء وكراماتهم، وتشكل هذه الطرق الصوفية التي ملأت البلاد من أقصاها إلى أقصاها.[4]

1 - المرجع نفسه، ص ص: 29؛ 30.

2 - عبد المنعم القاسمي، المرجع السابق، ص: 30.

3 - المرجع نفسه، ص: 30.

4 - عبد المنعم القاسمي، المرجع السابق، ص: 30.

3- أسباب فكرية:

أ – وجود أعلام صوفية عملوا على نشر هذه الطريقة بكامل المغرب الإسلامي، بحكم تكوينه النفسي والعلمي، أبو يعزى، أبو مدين، عبد الحق الإشبيلي، ابن مسرة...

أثروا بسلوكهم، حيث كان الناس يرون فيهم أنموذجا في الصلاح والتقوى، إذ أن معظم اعلام التصوف وعلمائه تولوا مهمة التدريس، الحسن بن علي المسيلي رفقة زميله الإشبيلي والحرالي، حافظوا على مستوى معين من التعليم العالي ببجاية، أحمد بن محمد المغراوي " بن زاغو " (ت 845هـ)، وجاء في ترجمته، " تولى التدريس بالمدرسة اليعقوبية وكان يعلم ا التفسير والحديث والفقه والأصول شتاءا، والفرائض والحساب والتصوف والبيان والأصول صيفا، وكان يخصص يومين الخميس والجمعة لتدريس التصوف، ومراجعة مؤلفاته وتصحيحها وتنقيحها"[1] بمؤلفا م، أبو مدين: أنس الوحيد، أبو زكريا السطيفي [2]: شرح اسماء الله الحسنى، عبد الحق الإشبيلي.

ومن مؤلفاته العديدة نذكر: كتاب الصلاة والتهجد، الذي نشره تلميذه محمد بن جعفر الأندلسي (ت 632هـ) بالأندلس، الرقائق والأنيس في المواعظ والأمثال والحكم والأداب، كتاب التوبة، كتاب الزهد، الإمام السنوسي: له تصانيف كثيرة تجاوزت الخمسين في شتى الموضوعات والعلوم منها مثلا، نصرة الفقير في الرد على ابي الحسن الصغير، وهو في الدفاع عن التصوف والصوفية، والذي عرف شهرة واسعة وكثرت نسخه وتعددت، وله المنهج السبيل في شرح كفاية المريد، ومؤلفات الإمام الثعالبي[3].

---

1 - المرجع نفسه، ص ص: 26؛ 27.

2 - أبو زكريا السطيفي هو ابو زكريا يحي بن زكريا بن محجوبة القرشي السطيفي، هو من الزهاد الأولياء، رحل غلى المشرق ولقي مشايخ، واستفاد من ابي الحسن الحرالي علم الظاهر والباطن وحصل من هديه الحلي والكامن، لقيه بالديار المصرية توفي رحمه الله ببجاية في شهر ذي القعدة عام 676م. أنظر: الغبريني، عنوان الدراية، ص ص: 49؛ 50؛ 51.

3 - عبد المنعم القاسمي، المرجع السابق، ص: 27.

ب- تأثير كثير من العلماء بالتصوف المشرقي، ظل متصوفة المغرب الإسلامي على اتصال دائم ووثيق بمتصوفة المشرق الإسلامي، أبو مدين الغوث، عبد القادر الجيلاني، ويذكر الغبريني الكثير من متصوفة المغرب الذين انتقلوا إلى المشرق وأخذو مختلف العلوم ومنها التصوف.

-أبو زكريا يحي بن محجوبة السطيفي، داود بن مطهر الوجهاني، إبراهيم ربن ميمون الوجهاني... ويذكر ابن مدين أيضا جماعة منهم أخذوا بالمشرق ونقلوا تلك العلوم إلى المغرب، عبد الله بن عبد الواحد الشهير بالبكاء، ابن مرزوق الجد، محمد بن عمر الهواري... كما يتجلى لنا هذا التأثر في المؤلفات المشرقية التي عرفت اهتماما من طرف علمائنا منهم على سبيل المثال: ابن النحوي، يوسف بن محمد التوزاري (513هـ) دافع دفاعا مستميتا عن إحياء العلوم للغزالي وكان يدرسه ويوصي بقراءته، واستنسخه في ثلاثين جزءا، فإذا دخل رمضان قرأ كل يوما جزءا...

الحسن بن علي المسيلي (ت بعد 580هـ) الشيخ العالم الفيلسوف الصوفي، لقب بأبي حامد الصغير، كتب كتابه التفكير فيما يشتمل عليه السور والآيات من المبادئ والغايات، وهو كما يقول الغبريني كتاب جليل سلك فيه مسلك أبي حامد في كتاب الإحياء، وبه سمي أبا حامد الصغير.

أبو مدين الغوث (ت596هـ) كان يدرس المقصد الأسنى في شرح أسماء الحسنى للغزالي، وذلك بزاوية أبي زكريا الزواوي ببجاية.

الحرالي علي بن أحمد (ت 638هـ)، كان مهتما بكتاب النجاة لابن سينا، ويدرسه لتلامذته ببجاية.[1]

الإمام محمد بن يوسف السنوسي (ت 895هـ)، اختصر كتاب الرعاية للحارث بن أسد المحاسبي وهو أوائل الصوفية ببغداد.

---

1 - المرجع نفسه، ص، ص: 28; 29.

من هنا نستطيع القول أن كتب ومؤلفات الصوفية المشارقة، الرسالة القشيرية،كتب أبي طالب المكي، الغزالي، ابن عطاء الله... قد لاقت صدى كبير بالمشرق، وكان لها بدورها الفضل الكبير في نشر التصوف بالمغرب الإسلامي[1].

2- منهج أبي مدين في التصوف:

لقد تنوعت ثقافة هذا المتصوف بحكم المناطق التي رحل إليها، والمشايخ الذين أخذ عنهم، واكتسب بذلك عدة ثقافات، أندلسية ومغربية ومشارقية، فتتلمذ عن أبي الصبر أيوب بن عبد الله الفهري السبتي بفاس [2] وابي الحسن علي بن غالب القرشي (ت 568هـ- 1172م)، وهما من تتلمذا عن ابن العريف وأخذ عنه تصوفه القائم على الزهد في كل شيء ما عدا الله، وأخذ العلم أيضا عن أبي عبد الله الدقاق الذي اعتمد أسلوب ا اهدة النفسية في تصوفه، وأبي الحسن السلاوي، إلى جانب ابي الحسن علي ابن إسماعيل بن حرزهم، إلا أنه انتفع واستفاد أكثر من أبي يعزى يلنور (ت 572هـ- 1176م)، والذي ألزمه القيام با اهدات والرياضات، كالصيام إذ تركه دون طعام لمدة ثلاثة أيام وذلك لتطهير نفسه.[3]

كان أبو يعزى يثني عليه، وقد تأثر به حتى أنه فضل الأخذ عته، وعند انتقاله غلى المشرق أخذ عن مشايخه تعاليم ومبادئ المتصوفة الكبار، أمثال الجنيد والقشيري والغزالي، والتقى أثناء تواجده بعرفة بالشيخ عبد القادر الجيلاني (ت 560هـ- 1164م)، وتأثر بأفكاره ومبادئه، وقرأ عنه الحديث، كما ألبسه خرقة التصوف [4].

خلص هذا الأخير إلى طرح المذهب الصوفي مزج فيه بينما أخذه من الأندلس والمغرب والمشرق من ثقافات، وقد قام على عدة أسس فرأى أن الزهد الحقيقي هو الذي يطهر قلب المريد من

---

1 - عبد المنعم القاسمي، المرجع السابق، ص ص: 30؛ 31.

2 - ابن القنفد القسطنطيني، المصدر السابق، ص: 32.

3 - ابن مريم، المصدر السابق، ص: 109، ابن القنفد، أنس الفقيه، ص: 15.

4 - المقري التلمساني، نفح الطيب، المصدر السابق، ج7، ص: 138.

شهوات الدنيا ويغمره بحب الله تعالى، فقال: " التعظيم امتلاك القلب بإجلال الرب " [1]، ويتم ذلك بالمداومة على ذكره تعالى عز وجل وقال في هذا السياق:

إني إذا ما ذكرت ربـ ـ يهتز شوقي إلى لقاه
طابت حياتي وضاء قلبي بذكر ربي خل ثناه [2]

حارب الزهد في المظهر الخارجي وتجلى ذلك في ثيابه الجميلة التي ارتادها، ورائحة الطيب والمسك التي كانت تفوح منه حتى أنه شبه بالملوك في مظهره [3]

استطاع ابو مدين شعيب بآرائه التي برزها في التصوف أن يوافق بين عدة نظريات صوفية تقمصها من خلال ثقافته المشرقية والمغربية والأندلسية، التي ضمنت له ذلك، فدمجها وخلص في الاخير غلى مذهب صوفي حمل أفكاره، وفي الوقت نفسه حافظ على نظريات شيوخه فتضمن منهج محاسبة النفس الذي أخذه عن الرعاية للمحاسبي في قوله: " بالمحاسبة يصل العدل إلى درجة المراقبة " [4]، ووافق كل من المتصوفين المشرقيين، القشيري والغزالي فيما يتعلق بفراغ القلب عما سوى الله، إلى جانب قوله: " بقدرة القلب على إدراك الحقيقة الإلاهية " وهو ما قال به الغزالي، كما أنه أكد نظرية المتصوف ابن العريف فيما يخص الحب الإلهي، وفناء المريد المحب في محبوبه، ولقد لقيت أفكاره تقبلا واسعا بالغرب الإسلامي، وأشار إلى أتباعه الشرع في مذهبه في قوله:

لا تحسبوا الزمر الحرام مرادنا مزمارنا التسبيح والأفكار
وشرابنا من لطفه وغنائـ ـنا نعم الحبيب الواحد القهار [5]

1 - الغبريني، المرجع السابق، ص: 12.
2 - أبي مدين، ديوان أبي مدين، ص: 05.
3 - ابن القنفذ، المصدر السابق، ص: 94.
4 - المصدر نفسه، ص: 18، الغبريني، المرجع السابق، ص: 12.
5 - المقري، نفح الطيب، ج7، ص: 143.

كان للشيخ أبي مدين منهاج خاص في تربية مريديه وترقيتهم، خاصة في مقامات الولاية ،فيرى الإمام المناوي نقلا عن الغمام الشعراني، أن سيدي علي الخواص كان يقول :" كان مذهب الشيخ – يعني أبا مدين – رضي الله عنه ، تقريب الطريق على المريدين ونقلهم إلى محل الفتح، من غير أن يمر م على الملكوت ".

كما يروي العارف المناوي عن سيدي محي الدين أن سيدي بومدين كان يقول لأصحابه : " أظهروا للناس ما عندكم من المواقف ، كما يظهر الناس بالمخالفة ، وأظهروا بما أعطاكم الله من نعمه الظاهرة –يعني خرق العوائد- والباطنة –يعني المعارف[1]، فإنه تعالى يقول :" واما بنعمة ربك فحدث "[2].

ثم يقول سيدي محي الدين: " وهذه الطبقة اختصت باسم الظهور لكو م ظهروا في عالم الشهادة "، وكان سيدي بومدين يقول لأصحابه " اعلنوا بالطاعة حتى تكون كلمة الله هي العليا كما يعلن هؤلاء بالمعاصي ولا يستحيون من الله" وكان يقول في قوله تعالى: " فإذا فرغت فانصب وإلى ربك فارغب"[3]. فإذا فرغت من الأكوان فانصب قلبك لمشاهدة الرحمان ، وإلى ربك فارغب في الدوام ، وإذا دخلت في عبادة فلا تحدث نفسك بالخروج منها وقل يا ليتها كانت القاضية ، وكان القطب أبو مدين فقيها عن الله بأسرار العبادات ، فهو يعلل لأفضلية صلاة الجماعة على صلاة الفرد قائلا: " إنما فضلت صلاة الجماعة على صلاة الفرد ، لأنه يكتب لكل عبد من صلاته ما قام منها ، فيكتب من صلاة عشرها ، ومن صلاة ثلثها ونصفها ، وغير ذلك –أي كما في الحديث- فيرتفع للجميع صلاة مكملة الأجزاء بعضها ببعض ، فيعيد الله بركة الكمال والإتمام على الجماعة، فيكتب لكل واحد منهم صلاة كاملة ببركة الاجتماع.[4]

---

1 - جودة محمد ابو اليزيد المهدي، بحار الولاية المحمدية، المرجع السابق، ص:438.

2 -سورة الضحى : الآية رقم: 11.

3 - سورة الإنشراح: الآية رقم: 7؛ 8.

4 -جودة محمد أبو اليزيد المهدي ، المرجع السابق ، ص: 438.

من فوائده في تربية الريدين ما ذكره سيدي محي الدين قائلا : " كان شيخنا رضي الله عنه يقول: من علامة صدق المريد في إرادته ، فراره عن الخلق، ومن علامة فراره عنهم وجوده للحق ، ومن علامة صدق وجوده للحق رجوعه إلى الخلق ، فهذا هو حال الوارث للنبي -صلى الله عليه وسلم – فإنه كان يخلو بغار حراء وينقطع إلى الله فيه ، ويترك بيته وأهله ويفر إلى ربه، حتى بعثه الله رسولا مرشدا لعباده ، فهذه حالات ثلاث ورثه فيها من اعتنى الله به من أمته ، ومثله يسمى وارثا ، فالوارث الكامل من ورثه علما وعملا وحالا.[1]

كما تناول الشيخ أبا مدين مفهوم الفقر عند الصوفية بالإيضاح قائلا: "الفقر امارة على التوحيد ، ودلالة على التفريد، وحقيقة الفقر ألا تشاهد سواه " وكان يقول: "من كان الأخذ أحب إليه من الإعطاء فما يشم للفقر رائحة".

وفي حقيقة الإخلاص يقول: "الإخلاص أن يغيب عنك الخلق في مشاهدة الحق " وكان يقول: "كل بدل قبضته عارف لان ملك البدل في السماء غلى الارض وملك الثرى ".[2]

2-1- تأسيس الطريقة المدينية :

لقد أسس الشيخ أبا مدين طريقته المدينية، وهي لا تزال قائمة حتى الأن. ومبنى هذه الطريقة على الجهر بذكر الجلالة (كالطريقة القادرية)، وكان إمام هذه الطريقة سيدي بومدين شعيب يعلن بالصدقة وذكر الله وكان يقول " قل الله ثم ذرهم، أفغير الله تدعون" ومن شأن مريدي هذه الطريقة عدم التوقف في الملبس والمأكل على خشن أو غيره ، بل يقبلون ما يأتيهم من غير سؤال ولا استشراف نفس ، والسالك ينبغي له الأخذ بالأشد على نفسه، ومن آدا م، صلاة ركعتين نفلا بعد

---

1 -جودة محمد أبو اليزيد المهدي ، المرجع السابق ، ص، ص: 438؛ 439.

2 - المرجع نفسه، ص:439.

الأكل ، والاشتغال بقراءة سورة الملك ، ويدخلون الخلوة بالذكر الوارد (لا إله إلا الله لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير)، ومن شأ م اتخاذ سبحة للذكر.[1]

يمكن أن نلخص تعاليم ابي مدين كلها في هذا البيت الذي كان يردده دائما، كما يقول يحيى ابن خلدون.

الله قل وذر الوجود وما حوى **** إن كنت مرتادا بصدق مرد[2].

و ـذا المبدأ وصل أبو مدين بأتباعه إلى أقصى مراتب الصوفية، فتجردت نفسه التجرد كله.[3]

فتنقل متدرجا في كل مراتب الصوفية، حتى بلغ مرتبة القطب " الغوث[4] ".[5]

3- أهم المدارس الصوفية : (الطرق الصوفية):

إن كلامنا عن الطرق الصوفية، يقتصر على الطرق الأصيلة التي عملت في المغرب الاسلامي، والتي كان قوامها الدين الاسلامي الحقيقي، وسنتها سنة القرآن، وسيلتها مستمدة ومستوحاة من سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما كانت هذه الطرق الصوفية التي نقصدها نحن إلا لتخدم الاسلام الحق والثقافة العربية الاسلامية، بل لتخدم الانسان كإنسان دون أي تفرقة عرقية أو عنصرية، ودون النظر إلى لون جلدته، أبيض أو أسود، لذلك لم تحدد الصوفية مكان زمان عملها ونشاطها، فنجدها منتشرة خلال القرون الأولى التي ظهرت فيها في كامل المعمورة، وسعى رجال التصوف

---

1 - عامر النجار ، الطرق الصوفية في مصر نشأ ا ونظمها وروادها ، دار المعارف ، مصر ، طبعة خاصة ، ص: 84. أنظر: عبد المنعم القاسمي الحسني، أعلام التصوف في الجزائر، ته: ص: 75.

2 - أبي زكريا يحي بن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تح: عبد الحميد حاجيات، ج1، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1400هـ/1980م، ص: 126.

3 - عبد الحليم محمود، المرجع السابق، ص: 53.

4 - الغوث: هو قطب عظيم وسيد كريم، يحتاج إليه عند الاضطرار، وهو مستجاب الدعاء، ويطلب منه غيره الدعاء دائما، أنظر: ملياني زينب، المرجع السابق، ته، ص: 25.

5 - عبد الحليم محمود، المرجع السابق، ص: 53.

الحقيقيون دوما إلى تحقيق السعادة الروحية للإنسان أينما كان، والتي تتبعها السعادة المادية وإن كان رجال التصوف الحقيقيون، قد أضربوا على هذا النوع الأخير من السعادة.[1]

من يتتبع تاريخ التصوف يقف بنفسه على مواقف مشرفة لرجالاته الذين ضحوا بالنفس والنفيس لبلوغ الهدف الأمثل، روحيا وأخلاقيا وثقافيا، ومن رجال التصوف الحقيقيين من رمى ورائه وتخلى عن ملاذ الحياة وترفها، وكرس حياته من أجل الثقافة والعلم ونشرها بين أقوام لا علاقة له م، سوى لكو م أناسا مثلهم، لهم الحق في المعرفة والتنور، شأ م شأن الناس الآخرين وفي كل الأصقاع والبقاع.

الطرق الصوفية أوجدها رجال أكفاء ذووا ثقافة عالية، معترف ا من لدن الجميع وبدون الاستثناء، وأناس قد استطاعوا بعلمهم الغزير ومعارفهم الواسعة وشخصيا م القوية أن يؤثروا في محيطهم، وسنأتي إلى ذكر بعض الطرق الصوفية التي انتشرت في المغرب الاسلامي.[2]

ومن ثم نقف على مركز سيدي أبي مدين في الولاية حين نعلم أنه مؤسس لكل هذه المدارس الصوفية وشيخ لشيوخ الطرق، ومن ثم لقبه سيدي محي الدين (شيخ الشيوخ) كما أنه لقب سيدي محي بلقب (الشيخ الأكبر)، ولقبه أيضا بسلطان العارفين.[3]

3-1- الطريقة القادرية: هي أول طريقة صوفية ظهرت على الساحة الاسلامية كلها منذ القرن الثاني عشر للميلاد، بعد وفاة الشيخ عبد القادر الجيلاني دفين بغداد سنة 561هـ 1166م[4]، ولهذا الأخير العديد من التسميات أهمها: راعي الحمرا، لقب من الألقاب الشعبية، إضافة إلى: سلطان الصالحين، شيخ الفقراء، مولى بغداد، والبغدادي.[5]

---

1 - عمار هلال، الطرق الصوفية ونشر الاسلام والثقافة العربية في غرب إفريقيا السمراء، سحب الطباعة الشعبية للجيش، صدر عن وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية، 2007، ص-ص: 95-96.

2 - المرجع نفسه، ص-ص: 96-97.

3 - جودة محمد أبو اليزيد المهدي، المرجع السابق، ص: 437.

4 - عبد القادر خليفي، الطريقة الشيخية، منشورات ا لس الاسلامي الأعلى، الجزائر، ط2؛ 2010م، ص: 91.

5 - المرجع نفسه، ته، ص: 94.

قاومت هذه الطريقة الاستعمار الانجليزي في العراق سنة 1941م، والملفت للانتباه أن أغلب مشايخ القادرية هم من الفرس والأتراك والأمازيغ.

وتقود أسس مذهبه –أي عبد القادر الجيلاني- إلى الحسن البصري.

بالرغم من أن الشيخ عبد القادر الجيلاني لم تطأ قدمه أرض شمال إفريقيا إلا أ، أتباعه نشروا طريقته بصفة عجيبة، ومن المشايخ الذين نشروا الطريقة القادرية نذكر: سيدي بومدين وسيدي عبد السلام بن مشيش.

من فروع القادرية التي أخذت لنفسها طريقا دون أن تتخلى عن الانتماء إلى السر القادري، نذكر العيساوية، العمارية، الكونتية والفضيلية.[1]

3-2- الطريقة الشاذلية:

تنسب هذه الطريقة إلى أبي الحسن بن علي بن عبد الله بن عمر بن عبد الجبار الشاذلي، المولود بالمغرب الأقصى، في بلدة غمارة القريبة من مدينة سبتة عام 593هـ، وفي مسقط رأسه أكب على حفظ القرآن الكريم، ودرس العلوم الدينية واللغوية، وأخذ العلوم الظاهرية والباطنية عن الشيخ عبد السلام بن مشيش، الذي يعد من أكابر المتصوفة بالمغرب الأقصى، توفي سنة 656هـ وهو في طريقه إلى بين الله الحرام، ودفن بالحميثيرة بصعيد مصر.[2]

حمل اسم الطريقة التي تعود أسسها إلى سيدي بومدين الذي تتلمذ على يده الشيخ عبد السلام بن مشيش، الذي لقن علم التوحيد وأسس للطريقة التي أصبحت أم الروابط الدينية الصوفية بشمال إفريقيا، وبدأ الشيخ الشاذلي في نشر طريقته انطلاقا من "الشاذلية" بتونس المدينة التي أنسب

---

1 - بوداوية بلحيا، التصوف في بلاد المغرب العربي، دار القدس العربي للنشر والتوزيع الجزائر، ط1؛ 2009، ص،ص: 25؛27.

2 - صلاح مؤيد العقبي، الطرق الصوفية والزوايا في الجزائر تاريخها ونشأ ا، دار البصائر، الجزائر، ج1، ط1؛ 2002، ص:99. أنظر أيضا: عبد المنعم الجعفري، المرجع السابق، ص:156- 157.

إليها ولقب ا، وتفككت إلى عدة طرق فأنشأ كل شيخ طريقته شاذلية تحمل اسمه: الجازولية، الزروقية، اليوسفية (الراشدية).[1]

1 - بداوية بلحيا، المرجع السابق، ص،ص: 74؛ 49.

خاتمة

من خلال دراستنا لشخصية الشيخ أبي مدين شعيب ابن الحسين الأنصاري، توصلنا إلى جملة من الخصائص الهامة منها :

إن العصر الذي عاش فيه أبا مدين تميز بالازدهار الفكري والثقافي، والتطور الحضاري، فقد شهد مجموعة من العلماء، والزهاد المتصوفين، الذين ذاع صيتهم، وكان لهم الدور الكبير في نشر العلم في منطقة المغرب الإسلامي عامة، وفي مدينة فاس على وجه الخصوص.

لقد تنوعت العلوم التي تبحر فيها، من علوم دينية بين الفقه والأصول والتوحيد والتصوف، لان تكوينه منذ البداية كان على يد المغرب، في عصره، أمثال ابن حرزهم، أبي يعزى، عبد الله الدقاق...،الشيء الذي انعكس على طريقة تفكيره وتصوره لأمور الحياة، فكان بذلك عالما زاهدا، جامعا بين الحقيقة والشريعة .

ويظهر مما تقدم ذكره أن مصادر معرفة الشيخ أبي مدين، من خلال رحلاته العلمية بالمغرب والمشرق، تنوعت بين الدراسة والتحصيل، الآمر الذي يعكسه عدد شيوخه الذين تتلمذ على أيديهم، والعلوم المتنوعة التي درسها.

كان الإمام أبا مدين متصوفا سلوكيا، ويظهر في تفصيله الخلوة، وإطالته في التفكير وتأثره بكبار المشايخ ومؤلفا م، أمثال: الشيخ عبد القادر الجيلالي، والإمام الغزالي، حتى برز في علم التوحيد الذي كان يتمتع بمكانة هامة عند أهل التصوف.

عرفت مدينة بجاية، في ظل استقرار أبي مدين فيها، ازدهارا حضاريا وثقافيا، حيث أصبحت مقصد العلماء والأدباء، والزهاد لمكانتها العلمية والفكرية، حيث توفرت على مدارس ومعاهد ومساجد جامعة، وزوايا صوفية عريقة، فنبع فيها علماء أجلاء، أمثال أبي حامد الصغير المسيل، وعبد الحق الأزدي الاشبيلي الذين عاصرهما الشيخ أبا مدين، والذي كان له الدور الكبير

في إرساء التعاليم الإسلامية، وإصلاح ا تمع، فتخرج على يديه مجموعة من العلماء أمثال: ابن عربي، وحماد الصنهاجي، وعبد السلام بن شيش...، كما كان للشيخ دور جهادي في المشرق والمغرب.

إضافة إلى الوضع الحضاري، عرفت مدينة بجاية، أحداثا سياسية هامة، ولعل من أبرزها غزو بني غانية، للمدينة، هذا ما يدل على مكانتها الاقتصادية.

وفي ظل حكم أبي يعقوب المنصور لدولة الموحدين بالمغرب، كان صيت أبي مدين ينتشر من منطقة إلى أخرى، وهذا ما جعل بعض العلماء يحرضون السلطان الموحدي عليه، بوصفهم له أنه المهدي المنتظر، فخاف على حكمه واستدعاه، غير أن الشيخ لم يلتق به، حيث توفي وهو في طريقه إليه.

خلف الشيخ أبا مدين، العديد من المؤلفات والرسائل، ونظم وقصائد شعرية، وحكم كما استطاع نشر طريقته الصوفية، بتأسيسه المدرسة المدنية، والتي استمرت إلى يومنا هذا بفضل طلابه وتلامذته ومريديه.

ويمكن القول أن الشيخ أبا مدين شعيب، فتح ا ال أمام ظهور، المدارس الصوفية في المغرب الإسلامي، التي كانت امتدادا لطريقته، وطريقة شيوخه الأجلاء، والتي كان لها الأثر العميق في نفوس سكان المغرب العربي.

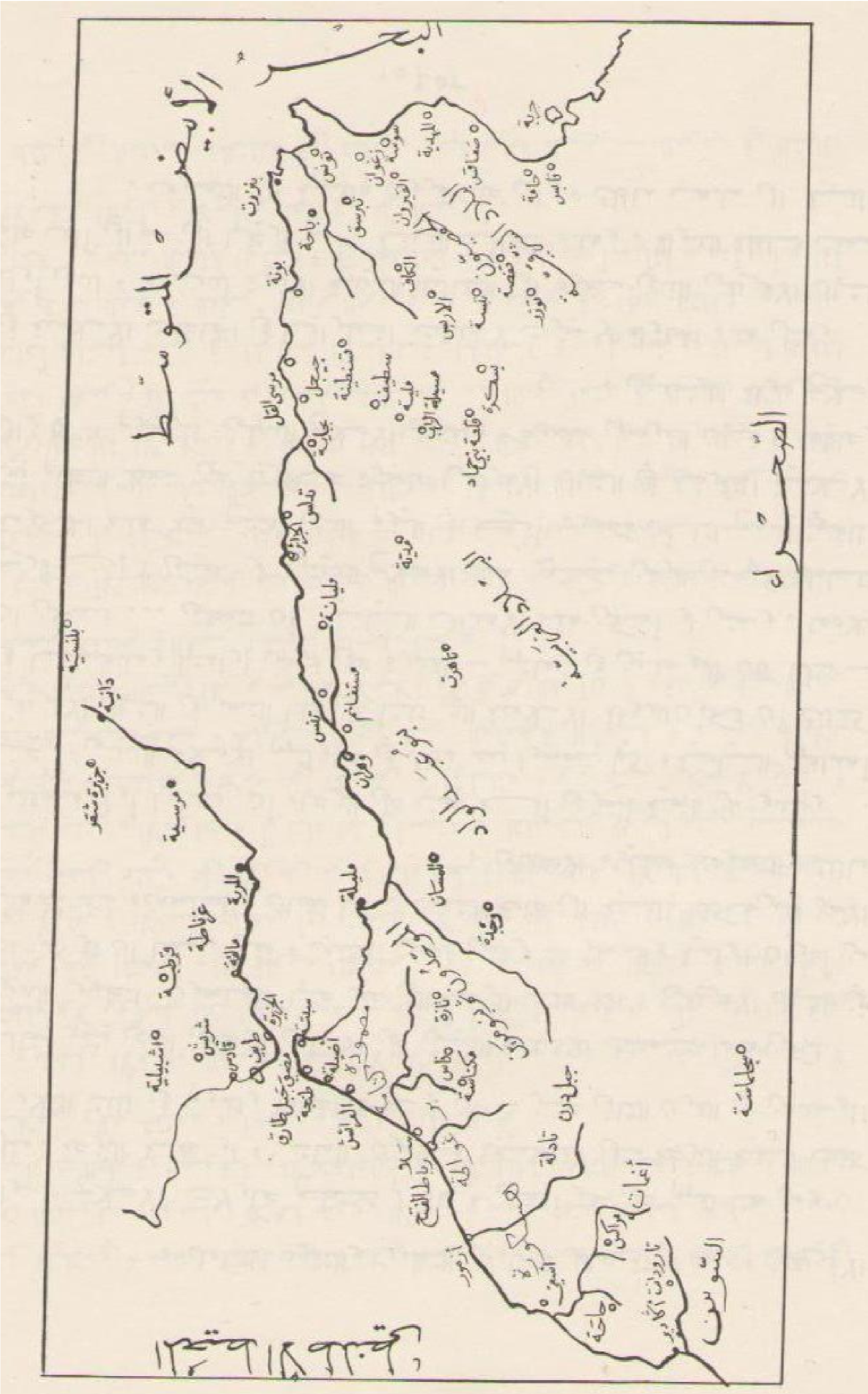
فالشيخ أبومدين رحمه الله تعالى من العلماء والأولياء الصالحين ، الذين سعوا في جمع كل ما ينفع المسلم في حياته ومعاده ، فما ترك بابا من أبواب الخير والهدي إلا وبين مراد الله عز وجل من فعله وفضل الإتيان به، وما ترك بابا من أبواب الشر إلا وبيين فيه مراد الله عز وجل من تركه واجتنابه ، تبعا لعمل نبينا وإمامنا وقدوتنا، محمد بن عبد الله - صلى الله عليه وسلم – الذي ما ترك من خير إلا ودلنا عليه، وما ترك من شر إلا وحذرنا منه، فاللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

الملاحق

قائمة الملاحق

- الخريطة السياسية لمنطقة المغرب الاسلامي.
- قصيدة البوصري في مدح أبي مدين شعيب وشيوخ الصوفية
- قصيدة أبي مدين الرائية لسلوك أبي مدين
- مخطوط ابن صعد التلمساني
- مخطوط يوضح غيثية أبي مدين
- صورة زاوية المغاربة بفلسطين بفلسطين
- مخطط زاوية وجامع المغاربة بفلسطين
- مخطط زاوية المغاربة بفلسطين
- صورة باب المغاربة بفلسطين
- صورة مدرسة سيدي أبي مدين بتلمسان
- وثيقة مالية للأوقاف
- وثيقة مالية للأوقاف
- مخطط الطرق الصوفية في المغرب العربي
- جدولان يوضحان النفقات المالية لأوقاف أبي مدين
- سند الطريقة الهاشمية الدرقاوية الشاذلية
- مسجد سيدي بومدين بتلمسان

ملحق رقم: 01



الخريطة السياسية لمنطقة المغرب الاسلامي.

1 - ألفرد بيل، المرجع السابق، ص: 453.

ملحق رقم: 02

ولله در شاعر مصر، وهو الفقيه الأجل العالم، الأوحد، الناسك، المتفنن، المحقق، الصوفي شرف الدين البوصيري رحمه الله، القاطن بمصر حيث يقول : [الطويل]

بَغَى بِي عَلَى الجَرعَاءِ[1] مِن جَانِبِ الغَرْبِ[2]   فَفِيهِ حَبِيبٌ لِي يَهِيمُ[3] بِهِ قَلبِي
قَرِيبٌ إِلَى سِرِّي بَعِيدٌ مَرَامُهُ   فنيت بِهِ وَجْدًا عَلَى البُعْدِ وَالقُرْبِ
إِذَا هَبَّتِ النُّكْبَاءُ فِي تُرَبِ دَارِهِ   تَعَطَّرَتِ الأَكْوَانُ مِن ذَلِكَ التُّرْبِ
وَإِن سُحِبَتْ[4] فِي الأَرْضِ فَضْلُ ذُيُولِهِ   وَجَرَتْ بِهَا فِي المَحلِ[5] فَضْلاً عَلَى السُّحْبِ
وَإِن حَمَلَتْ رِيحُ الصَبَا[6] نَفَحَاتِهِ   عَلَى كَبِدٍ ظَلَّتْ مُنَعَمَّةَ الخِلْبِ
فَرَوَّحَتِ الأَرْوَاحُ مِن طِيبِ عُرْفِهَا   فَيَا نَفَحَاتِ الغَرْبِ مِن نَحْوِهِ هُبِّ
[102*] تَغِبُّ فَتُشْفِي السَّقَمَ وَهِيَ عَلِيلَةٌ   وَتُطْبِقُ أَشْوَاقِي بِزَوْرَتِهِ الغِبُّ
وَأَسْمَرُ يُغْنِيهِ سَوَادُ جُفُونِهِ إِذَا   طَالَ عَن رِزقِ الأَسِنَّةِ وَالقُضْبِ
تَحِلُّ مَحْيَاءَ لَه مُغَيبةٌ دُونَ حُسْنِهِ   فَوَا عَجَباً صَارَ التَّجَلِّي مِنَ الحُجْبِ
وَلَيْلُ تَعَاطَيْنَا بِهِ رَاحَ ذِكرُهُ   فَطَابَت بِذِكْرَاهُ مُنَادَمَةُ الشُّرْبِ
فَأَنتَ حَدَاةَ[7] الرَّكْبِ تَسْتَوْقِفُ الكَرَى   وَبَاتَ زَفِيرُهُ دُونَهُم سَابِقَ الرَّكبِ
يُخَيِّلُ لِي فِي كُلِّ شِعْبٍ سَلَكْتُهُ   بِأَنَّ شُعَيْباً قَامَ فِي ذَلِكَ الشِّعْب

قصيدة البوصري في مدح أبي مدين شعيب وشيوخ الصوفية

---

1 - مؤلف مجهول، مفاخر البربر، تح: عبد القادر بوباية، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، ط1، 2005، ص: 179.

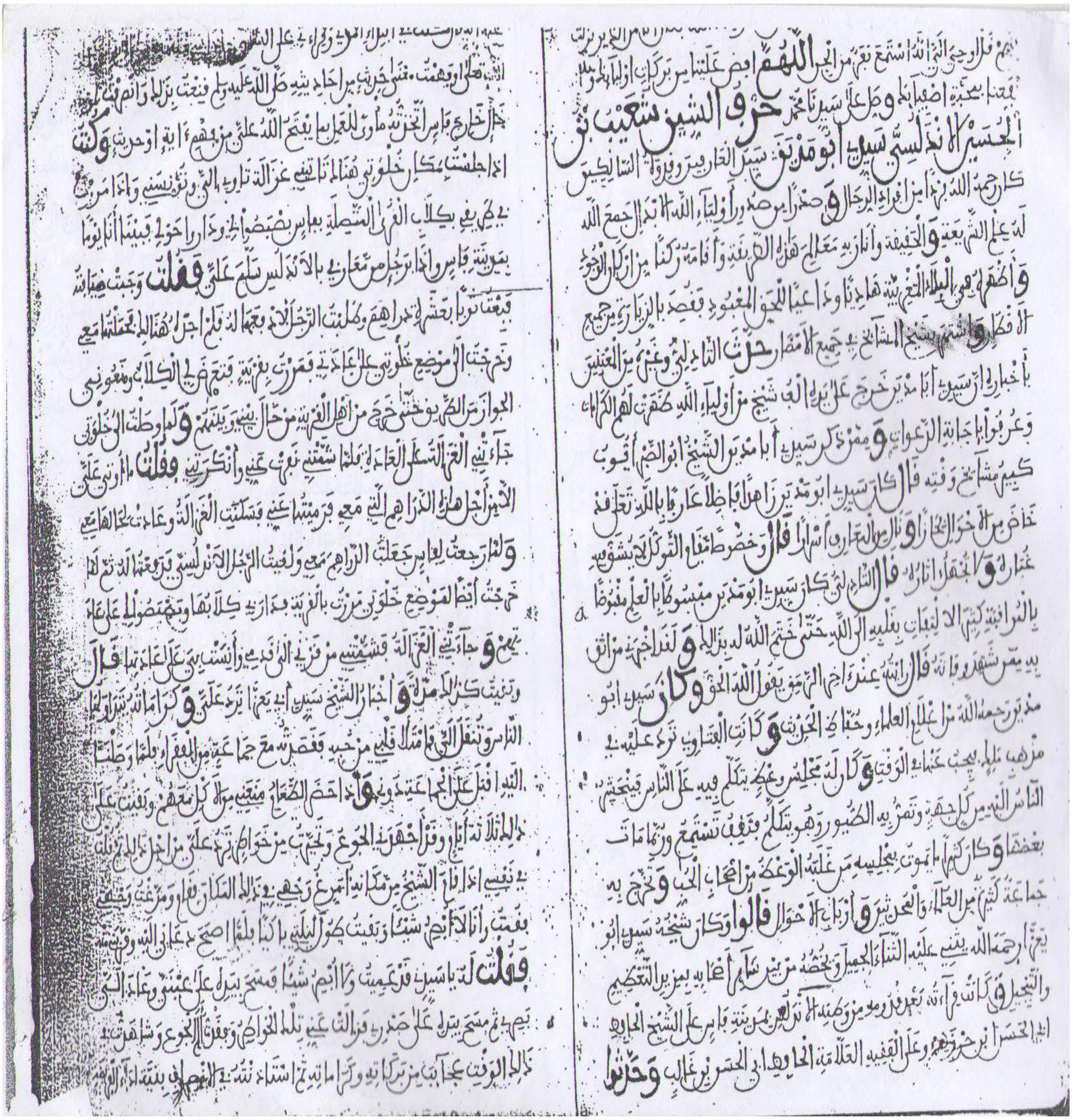
ملحق رقم: 03

... إلا صُحْبَةَ الفُقَرَا ... هُم السَّلاطِينُ وَ السَّاداتُ وَ الأُمَرَا
فَاصْحَبْهُم وَ تَأدَّب في مَجَالِسِهِم ... وَ خَلِّ حَظّك مَهمَا قَدّمُوكَ وَرَا
وَ اسْتَغْنِم الوَقْت وَ احْضُر دَائما مَعَهُم ... وَ اعْلَم بِأنّ الرّضا يَخْتَصّ مَنْ حَضَرَا
وَ لازِم الصَّمْتَ إلا إنْ سُئِلْتَ فقُلْ ... لا عِلْمَ عِندي وَ كُن بالجهلِ مُسْتَتِرا
وَ لا تَرَ العَيْبَ إلا فِيكَ مُعْتَقِدًا ... عَيْباً بَدا بَيِّناً لَكِنّه اسْتَتَرَا
وَ حُطّ رَأسكَ وَ اسْتَغْفِرْ بلا سَبَبٍ ... وَ قُمْ عَلَى قَدَمِ الإنصَافِ مُعتَذِرا
وَ إنْ بَدا مِنكَ عَيْبٌ فَاعتَرف وَ أقِم ... وَجهَ اعتِذارِكَ عمّا فِيكَ مِنكَ جَرَى
وَ قُل عُبَيْدُكُم أوْلَى بِصَفْحِكُم ... فَسَامِحُوا وَ خُذُوا بِالرِّفْقِ يا فُقَرَا
هُم بِالتَّفَضُّلِ أوْلَى و هُوَ شِيمَتُهم ... فلا تَخَف دَرَكاً مِنْهُم و لا ضَرَرَا
و بِالتَّفَتِّي على الإخوانِ جُدْ أبَدا ... حِسّاً و مَعْنىً و غُضَّ الطَّرْفَ إن عَثَرَا
و رَاقِب الشَّيخَ في أحوالِه فَعَسَى ... يَرَى عَلَيكَ مِن استِحسَانِه أثَرا
و قَدِّم الجِدَّ و انْهَضْ عِند خِدمَتِه ... عَسَاه يَرْضَى و حَاذِر أن تَكُنْ ضَجِرَا
ففِي رِضَاهُ رِضا البَارِي و طَاعَتُه ... يَرضَى عَلَيكَ فكُن مِن تَرْكِها حَذِرَا
و اعلَمْ بأنّ طَرِيقَ القَوْمِ دَارِسَةٌ مَتَى ... و حَالُ مَن يَدّعِيهَا اليوم كيف تَرى
مَتَى أرَاهُم و أنَّى لي بِرُؤيَتِهم ... أو تَسمَعُ الأذنُ مِنّي عَنْهُم خَبَرَا
مَنْ لِي و أنَّى لِمثلي أن يُزَاحِمَهُم ... على مَوَارِدَ لَمْ ألفِ بِهَا كَدَرَا
أُحِبُّهُم و أُدَارِيهِم و أُوثِرُهُم ... بِمُهْجَتِي وخُصُوصاً مِنْهُم نَفَرَا
قَوْمٌ كِرَامُ السَّجَايَا حَيْثُمَا جَلَسُوا ... يَبْقَى المَكَانُ على آثارِهِم عَطِرَا
يُهدِي التَّصَوّفُ مِنْ أخلاقِهِم طَرَفا ... حُسْنُ التّألّفِ مِنْهُم رَاقَنِي نَظَرَا
هُمْ أهْلُ وُدّي وَ أحبَابِي الذِينَ هُم ... مِمّن يَجُرّ ذُيُولَ العِزّ مُفتَخِرَا
لازَالَ شَملِي بِهِم في الله مُجتَمِعًا ... وَ ذَنبُنا فِيه مَغْفُوراً وَ مُغتَفَراً
ثُمَّ الصّلاةُ على المُختَارِ سَيِّدِنَا ... مُحَمّدٍ خَيرِ مَنْ أوْفَى وَ مَن نَذَرَا

قصيدة أبي مدين الرائية لسلوك أبي مدين

1 - أبو مدين، المصدر السابق، ص: 01.

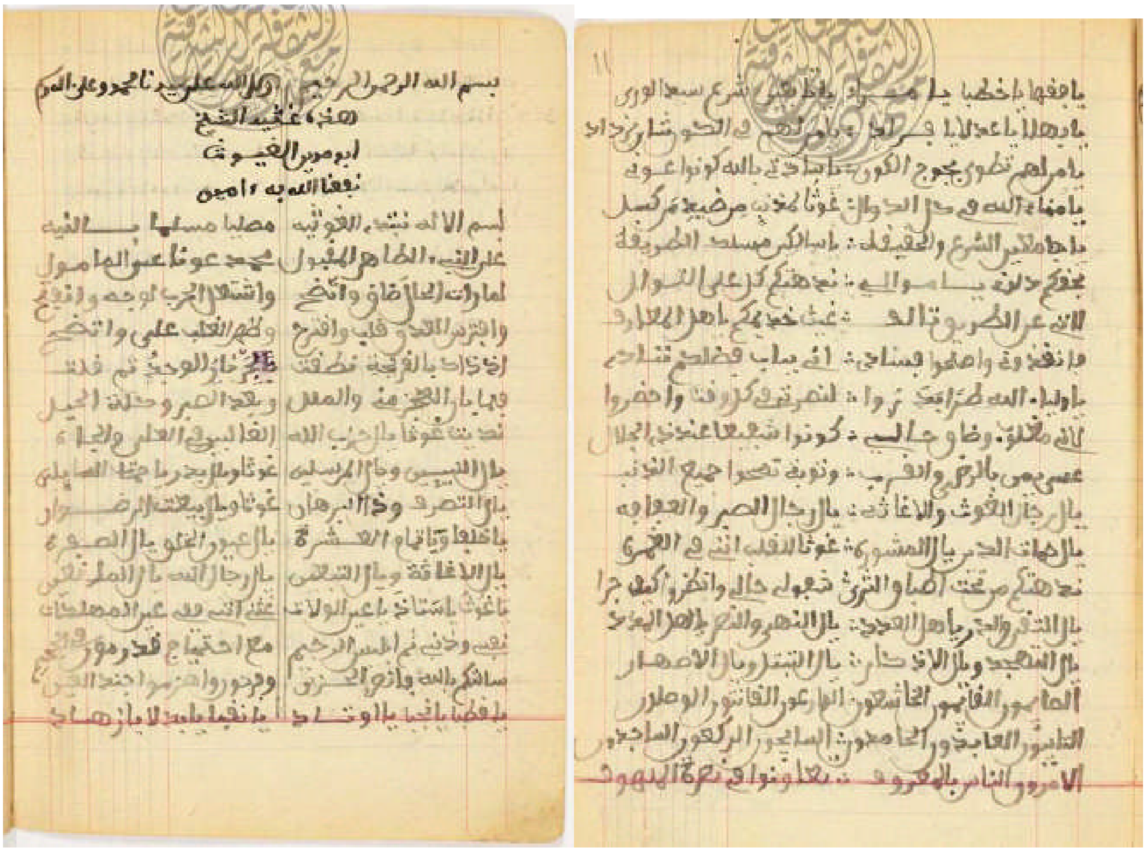
ملحق رقم: 04



مخطوط ابن صعد التلمساني

[1] - ابن صعد التلمساني، المصدر السابق، ص: 232-233.

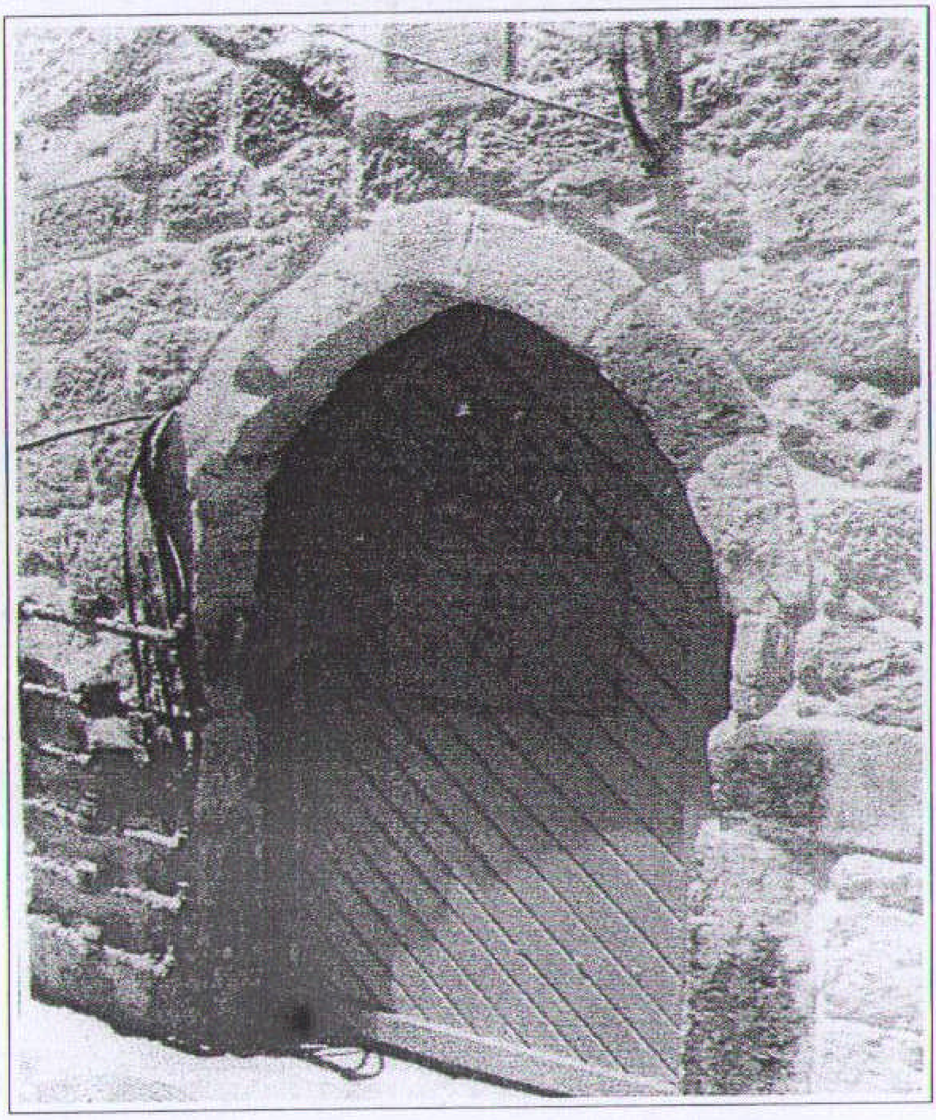
ملحق رقم: 05



مخطوط يوضح غيثية أبي مدين

1 - معهد الثقافة والدراسات الشرقية، طوكيو، اليابان، ص: 01-02.

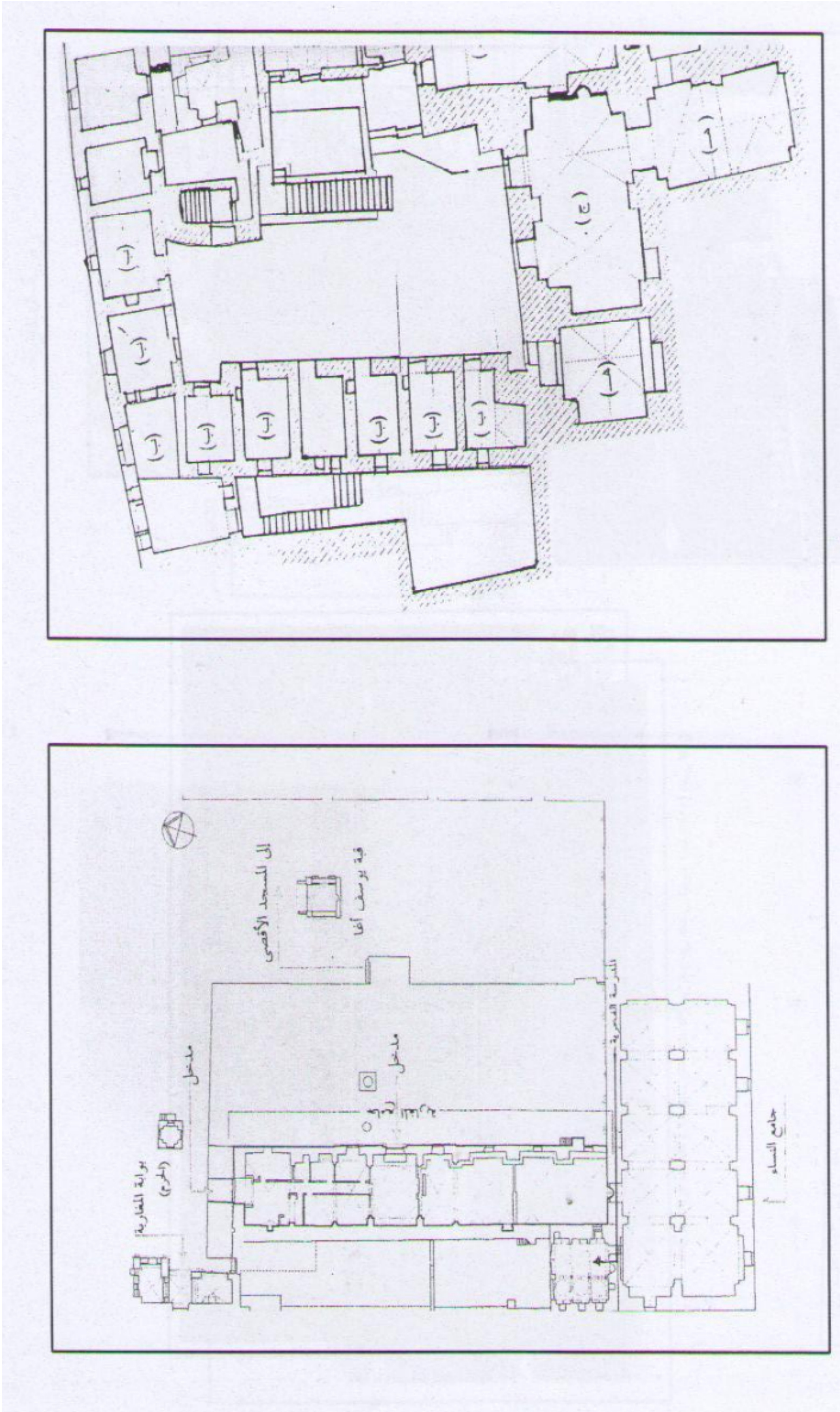
ملحق رقم: 06



صورة زاوية المغاربة بفلسطين

[1] - زعيم خنشلاوي، محمد الحزماوي، المرجع السابق، ص: 112.

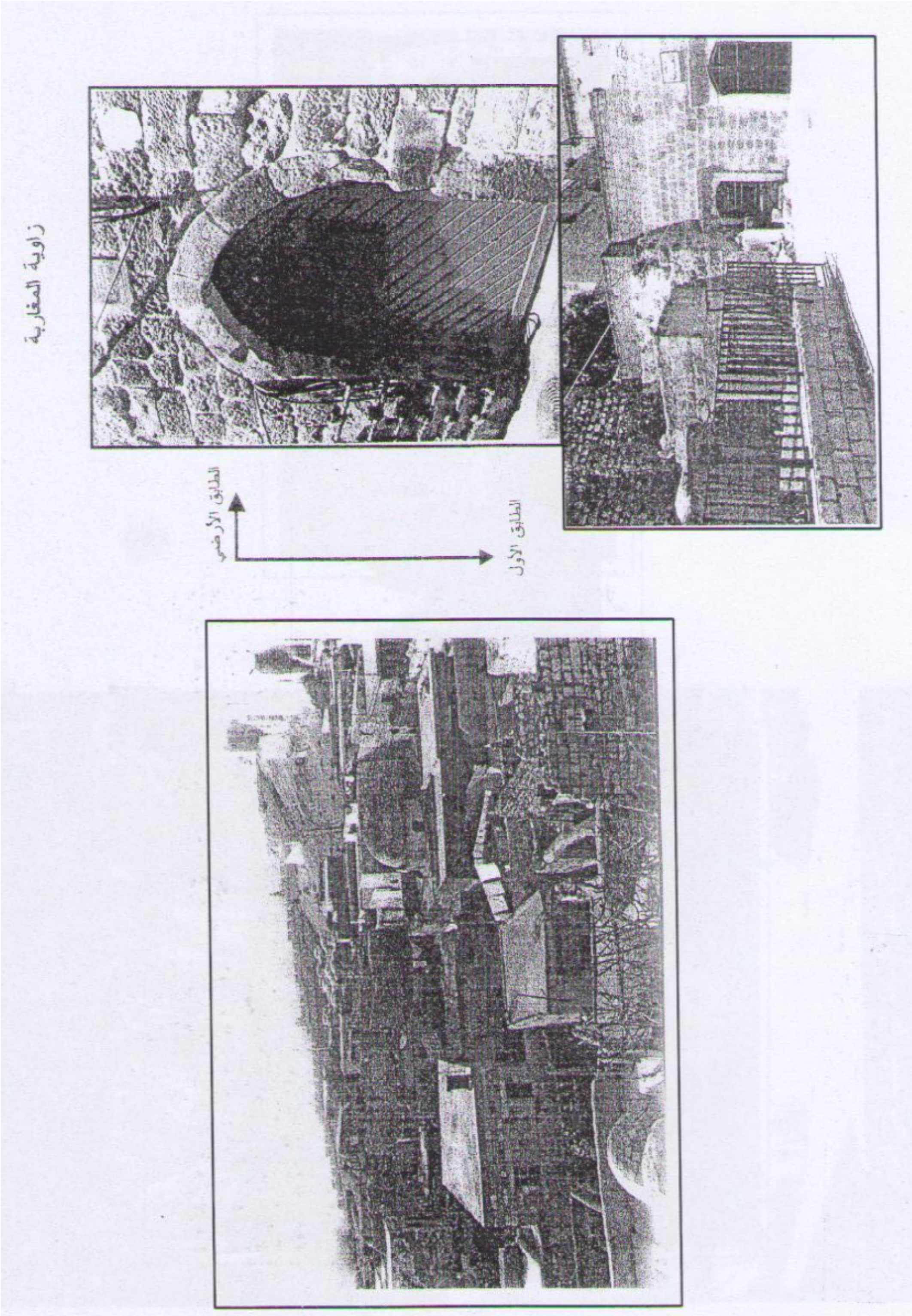
ملحق رقم: 07



مخطط زاوية وجامع المغاربة بفلسطين

[1] - زعيم خنشلاوي، محمد الحزماوي، المرجع السابق، ص: 117.

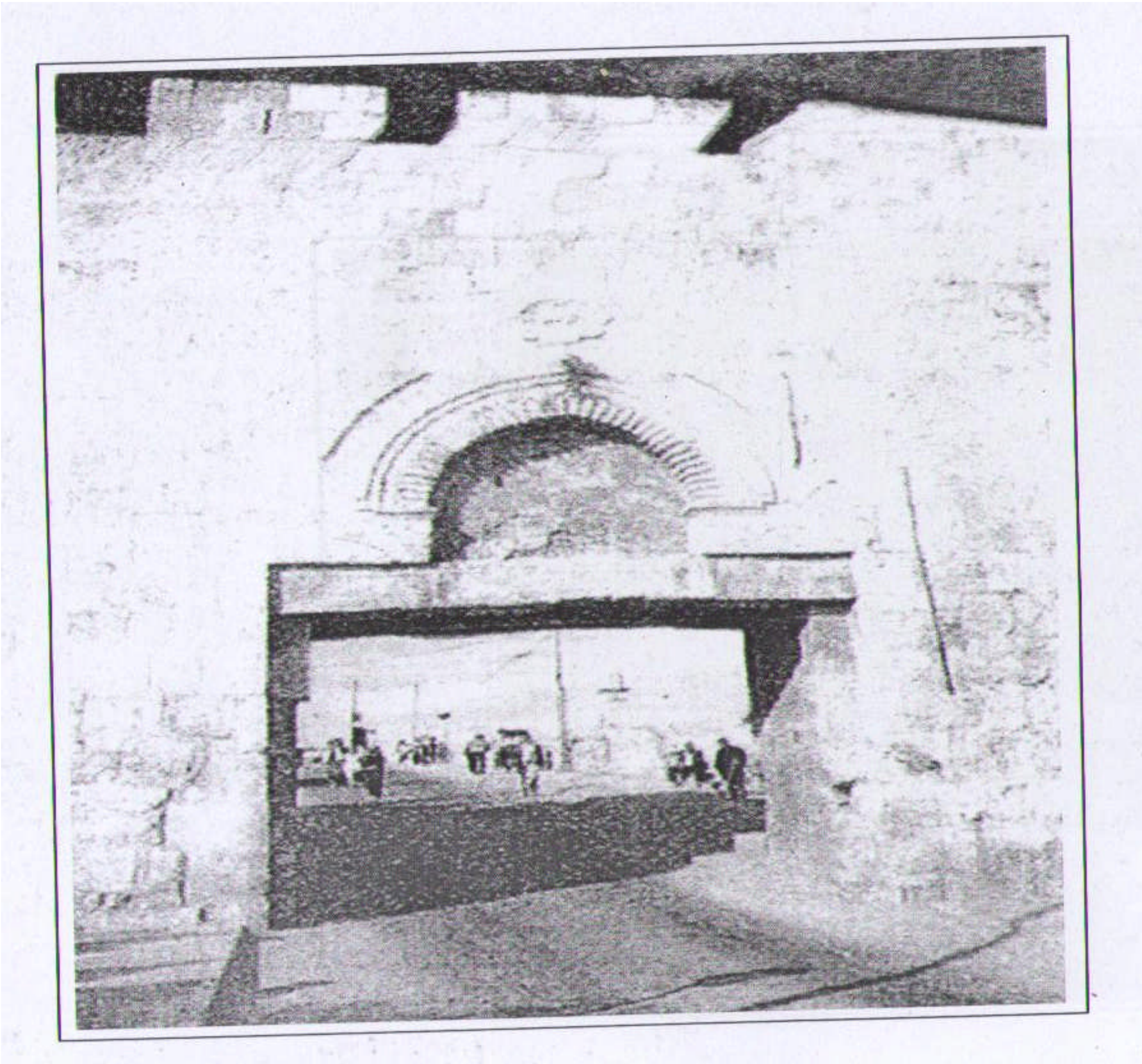
ملحق رقم: 08



مخطط زاوية المغاربة بفلسطين

[1] - زعيم خنشلاوي، محمد الحزماوي، المرجع السابق، ص: 121.

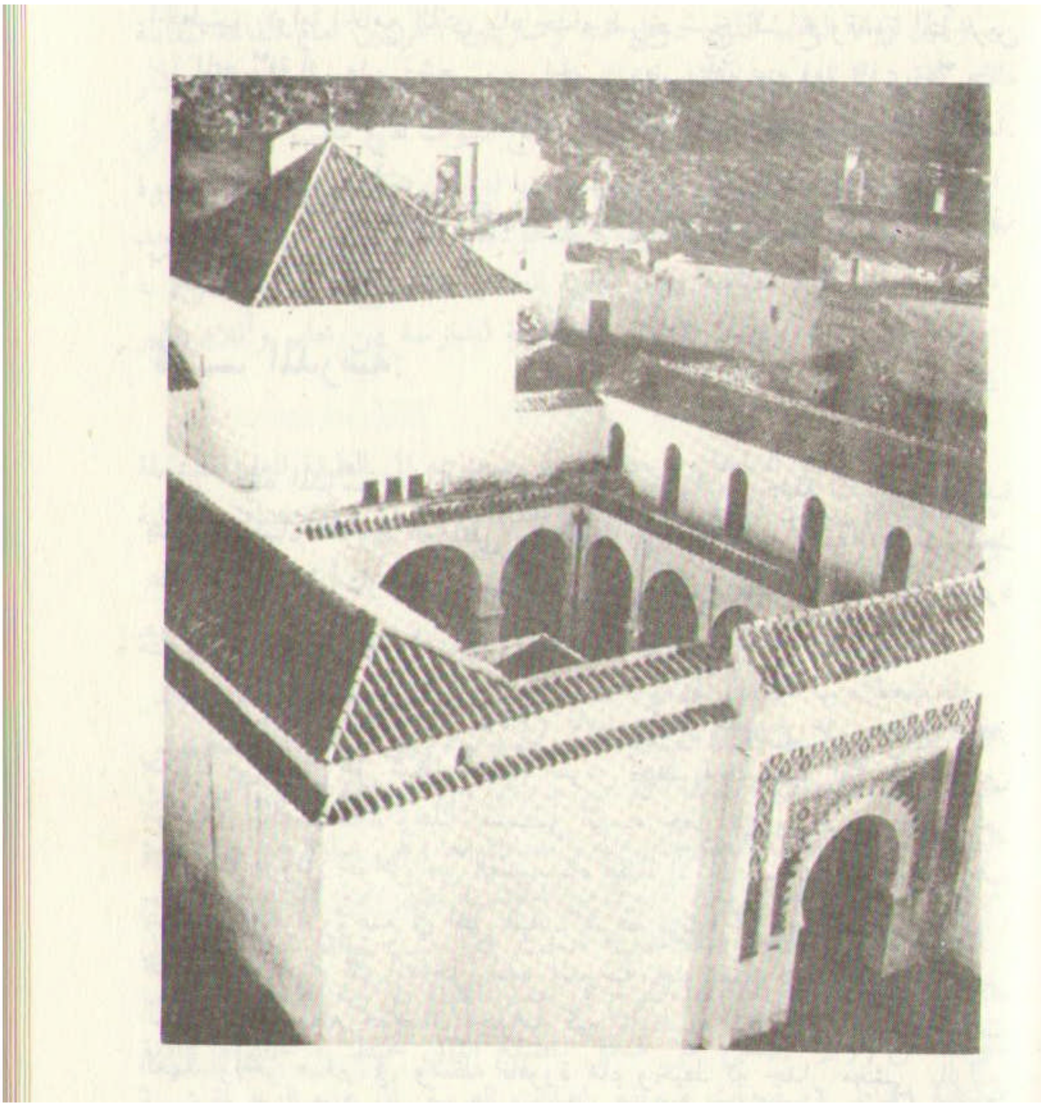
ملحق رقم: 09



صورة باب المغاربة بفلسطين

[1] - زعيم خنشلاوي، محمد الحزماوي، المرجع السابق، ص: 132.

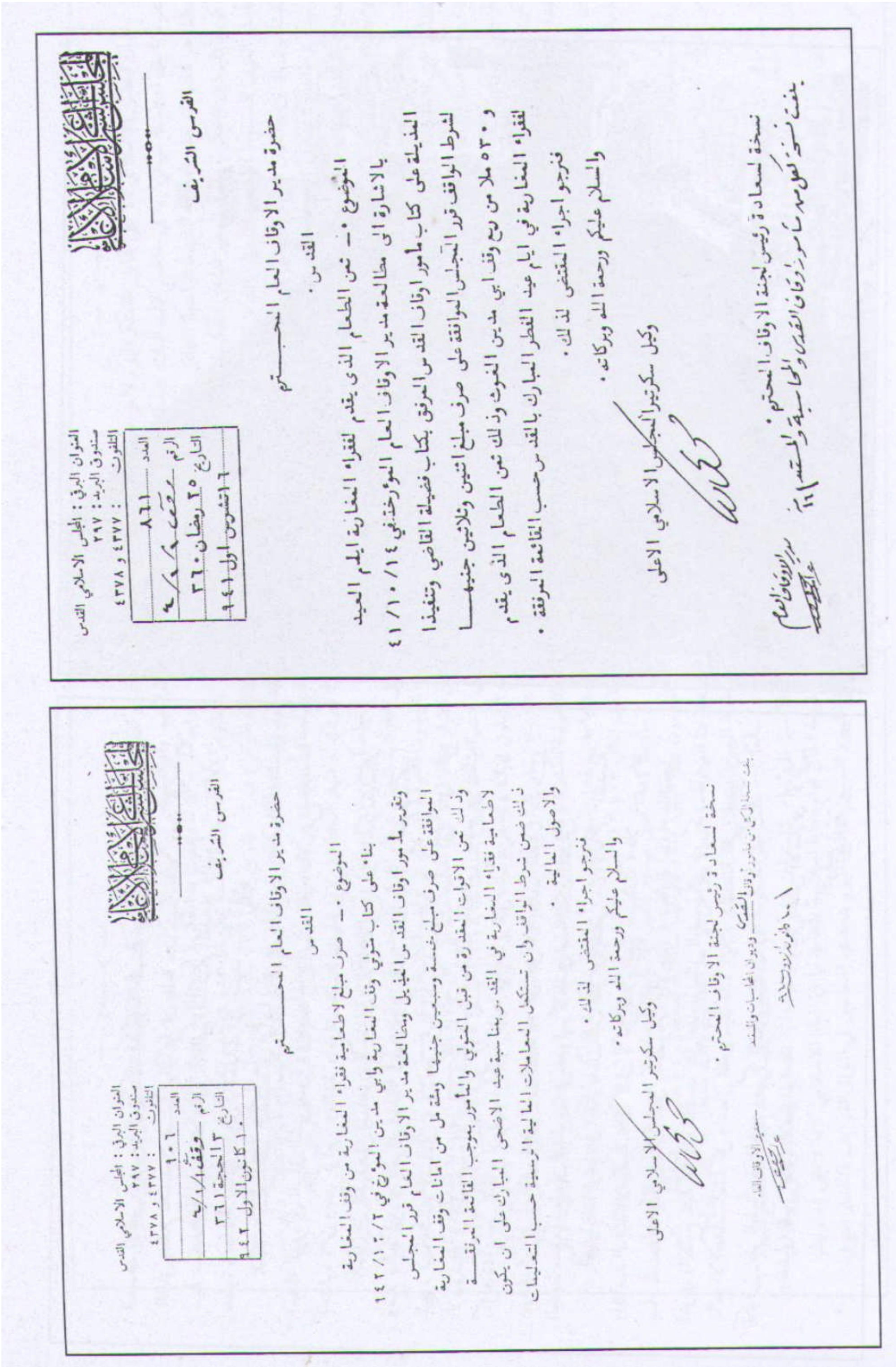
ملحق رقم: 10



مدرسة سيدي أبي مدين بتلمسان

[1] - سلسلة الفن والثقافة، تلمسان، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، مدريد، إسبانيا، 1975، ص: 41.

ملحق رقم: 11


المجلس الاسلامي الأعلى

القدس الشريف

العنوان البرقي : المجلس الاسلامي القدس
صندوق البريد : ٢٩٧
التلفون : ٤٣٧٧ و ٤٣٧٨

العدد ٨٦١١
الرقم ع ق ص ٨/٩
التاريخ ٢٥ رمضان ١٣٦٠
١٦ تشرين اول ١٩٤١

حضرة مدير الاوقاف العام المحترم
القدس .

الموضوع : ـ ثمن الطعام الذى يقدم لفقراء المغاربة ايام العيد

بالاشارة الى مطالعة مدير الاوقاف العام المؤرخة في ١٤ / ١٠ / ٤١ المذيلة على كتاب مامور اوقاف القدس المرفق بكتاب فضيلة القاضي وتنفيذا لشرط الواقف قرر المجلس الموافقة على صرف مبلغ اثنين وثلاثين جنيها و ٥٣٠ ملا من ريع وقف ابي مدين الغوث وذلك ثمن الطعام الذى يقدم لفقراء المغاربة في ايام عيد الفطر المبارك بالقدس حسب القائمة المرفقة .

فرجو اجراء المقتضى لذلك .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وكيل سكرتير المجلس الاسلامي الأعلى

نسخة لسعادة رئيس لجنة الاوقاف المحترم .

المجلس الاسلامي الأعلى

القدس الشريف

العنوان البرقي : المجلس الاسلامي القدس
صندوق البريد : ٢٩٧
التلفون : ٤٣٧٧ و ٤٣٧٨

العدد ٩٠٦
الرقم وقف/١/ب
التاريخ ٣ الحجة ١٣٦١
١٠ كانون الاول ١٩٤٢

حضرة مدير الاوقاف العام المحترم
القدس

الموضوع : ـ صرف مبلغ لاطعامية فقراء المغاربة من وقف المغاربة

بناء على كتاب متولي وقف المغاربة وابي مدين المؤرخ في ٢ / ١٢ / ١٩٤٢ وتقرير مامور اوقاف القدس المذيل بمطالعة مدير الاوقاف العام قرر المجلس الموافقة على صرف مبلغ خمسة وسبعين جنيها وبقة مل من امانات وقف المغاربة وذلك ثمن الاثواب المقدرة من قبل المتولي والمأمور بموجب القائمة المرفقة لاطعامية فقراء المغاربة في القدس بمناسبة عيد الاضحى المبارك على ان يكون ذلك ضمن شرط الواقف وان تشكل المعاملات المالية الرسمية حسب التعليمات والاصول المالية .

فرجو اجراء المقتضى لذلك .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

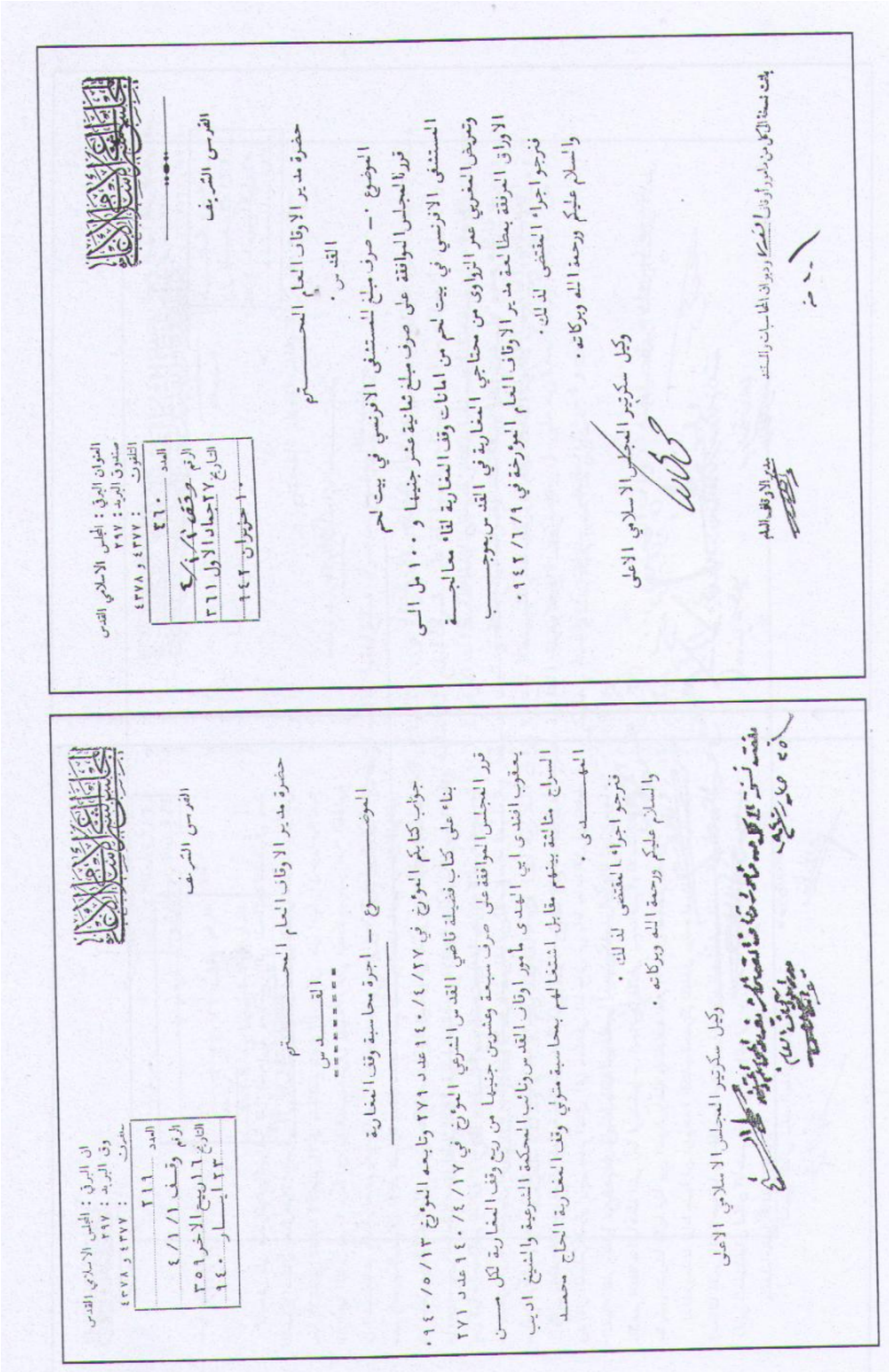
وكيل سكرتير المجلس الاسلامي الأعلى

نسخة لسعادة رئيس لجنة الاوقاف المحترم .

وثيقة مالية للأوقاف

[1] - زعيم خنشلاوي، محمد الحزماوي، المرجع السابق، ص: 141.

ملحق رقم: 12



المجلس الإسلامي الأعلى

العنوان البرقي : المجلس الاسلامي القدس
صندوق البريد : ٢٩٧
التلفون : ٤٣٧٧ و ٤٣٧٨

العدد ٣٦٠
الرقم وقف ٤/١/٤
التاريخ ٢٧ جماد الاول ٣٦١
١٠ حزيران ٩٤٢

القدس الشريف

حضرة مدير الاوقاف العام المحترم
القدس .

الموضوع : صرف مبلغ للمستشفى الافرنسي في بيت لحم

قررنا المجلس الموافقة على صرف مبلغ ثمانية عشر جنيها و ١٠٠ مل الى المستشفى الافرنسي في بيت لحم من امانات وقف المغاربة لقاء معالجة وتمريض المغربي عمر الزواوى من محتاجي المغاربة في القدس بموجب الاوراق المرفقة بمطالعة مدير الاوقاف العام المؤرخة في ٩/٦/٩٤٢ .

فنرجو اجراء المقتضى لذلك .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وكيل سكرتير المجلس الاسلامي الاعلى

بعثت نسخة الى كل من مأمور أوقاف القدس وديوان المحاسبات والسند

مدير الاوقاف العام

المجلس الإسلامي الأعلى

ان البرقي : المجلس الاسلامي القدس
وق البريد : ٢٩٧
تلفون : ٤٣٧٧ و ٤٣٧٨

العدد ٢١٩
الرقم وقف ٤/١/١
التاريخ ١٦ ربيع الاخر ٣٥٩
٢٣ ايار ٩٤٠

القدس الشريف

حضرة مدير الاوقاف العام المحترم
القدس

الموضوع — اجرة محاسبة وقف المغاربة

جواب كتابكم المؤرخ في ٢٧/٤/٩٤٠ عدد ٢٧٩ وتابعه المؤرخ ١٣/٥/٩٤٠ بناء على كتاب فضيلة قاضي القدس الشرعي المؤرخ في ١٧/٤/٩٤٠ عدد ٢٧١ قرر المجلس الموافقة على صرف سبعة وعشرين جنيها من ريع وقف المغاربة لكل من يعقوب افندي ابي الهدى مأمور اوقاف القدس ونائب المحكمة الشرعية والشيخ اديب السراج مثالثة بينهم مقابل اشتغالهم بمحاسبة متولي وقف المغاربة الحاج محمد المهدي .

فنرجو اجراء المقتضى لذلك .

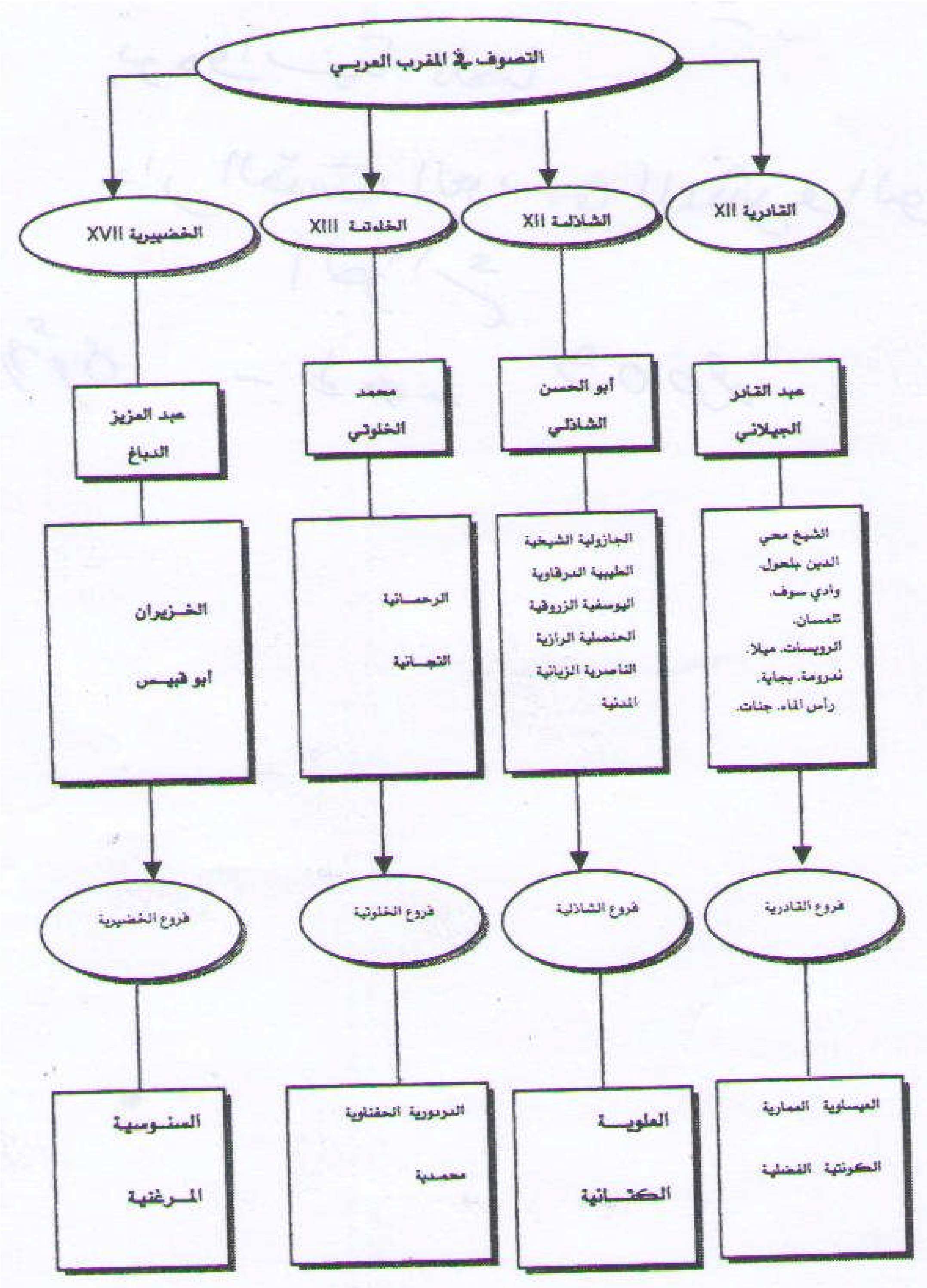
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وكيل سكرتير المجلس الاسلامي الاعلى

وثيقة مالية للأوقاف

1 - زعيم خنشلاوي، محمد الحزماوي، المرجع السابق، ص: 142.

ملحق رقم: 13



الطرق الصوفية في المغرب العربي

1 - بودواية باللحيا، المرجع السابق، ص: 125.

ملحق رقم: 14

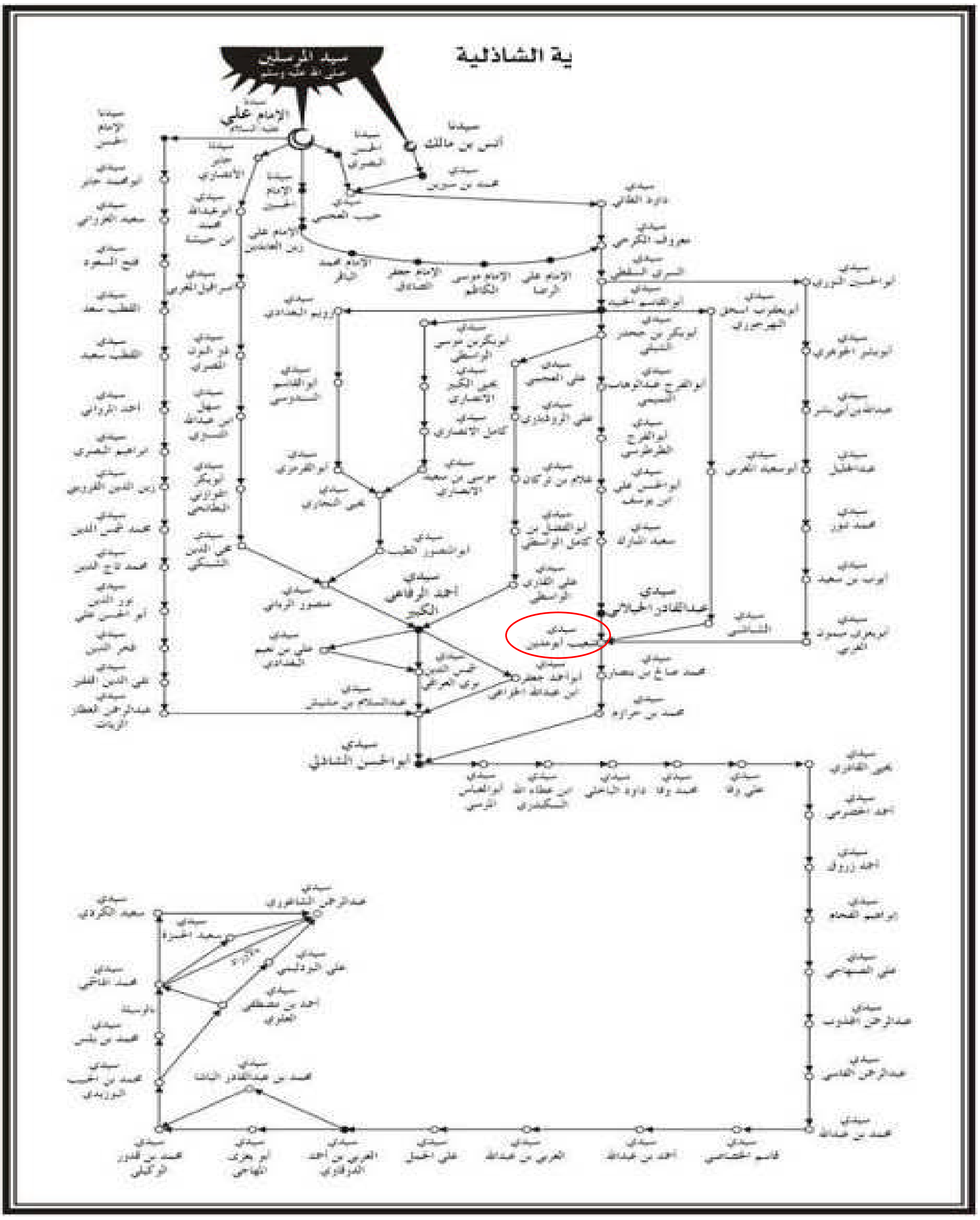
نوع الاتفاق	جنيه	مل
عمارة	629	610
خارطة لقرية عين كارم ونفقات القضية	221	270
رواتب للفقراء والمتولين وبعض الخدم	315	910
شراء دار للوقف	057	535
نفقات قضايا البراق الشريف	049	395
ما أنفق على زاوية أبي مدين الغوث	077	120
نفقات متفرقة	39	530
	1390	370

مل	جنيه	النوع	الكمية
250	4	لحم	25رطلاً
810	3	سميد	3شوالات
200	–	بصل	10أرطال
500	–	قرعة	14رطلاً
800	1	سمنة	4أرطال
40		بهار وفلفل	أوقيتان
440	1	حطب	قنطاران
320	–	سكر	أربعة أرطال
80	–	شاي	أوقية
350	1	أجرة فتالات لعمل المغربية	–
200	1	أجرة أربعة طباخين	–
500	–	أجرة الموزع	–
500	–	أجرة نقيب	–
150	–	طعام للفتالات لمدة يومين	–
300	–	أجرة لوكسات	–
210	1	بياض النحاس	(88)
650	17	المجموع	

جدولان يوضحان النفقات المالية لأوقاف أبي مدين

[1] - زعيم خنشلاوي، محمد الحزماوي، المرجع السابق، ص: 145.

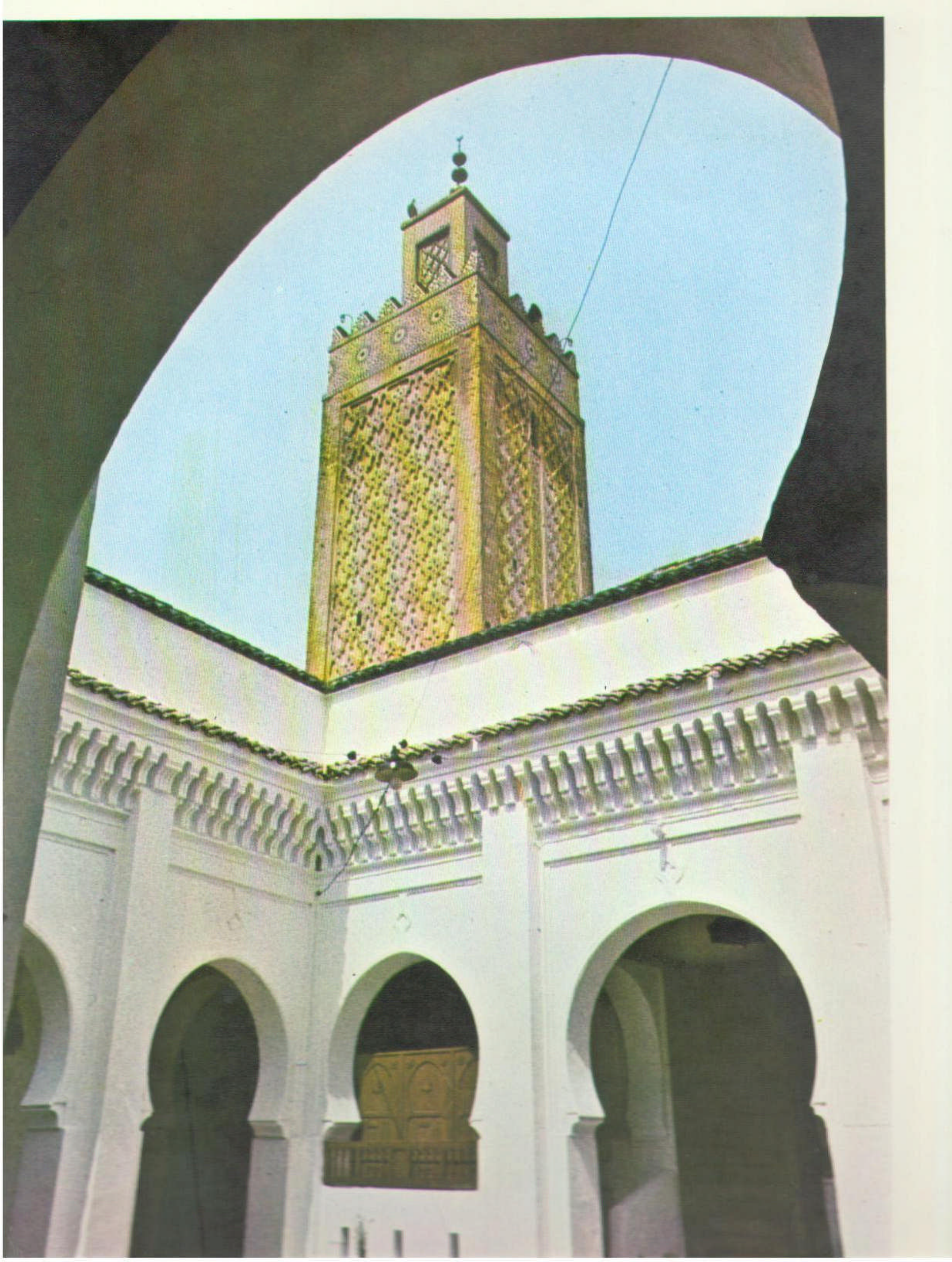
ملحق رقم: 15



سند الطريقة الهاشمية الدرقاوية الشاذلية

[1] - www.google.com

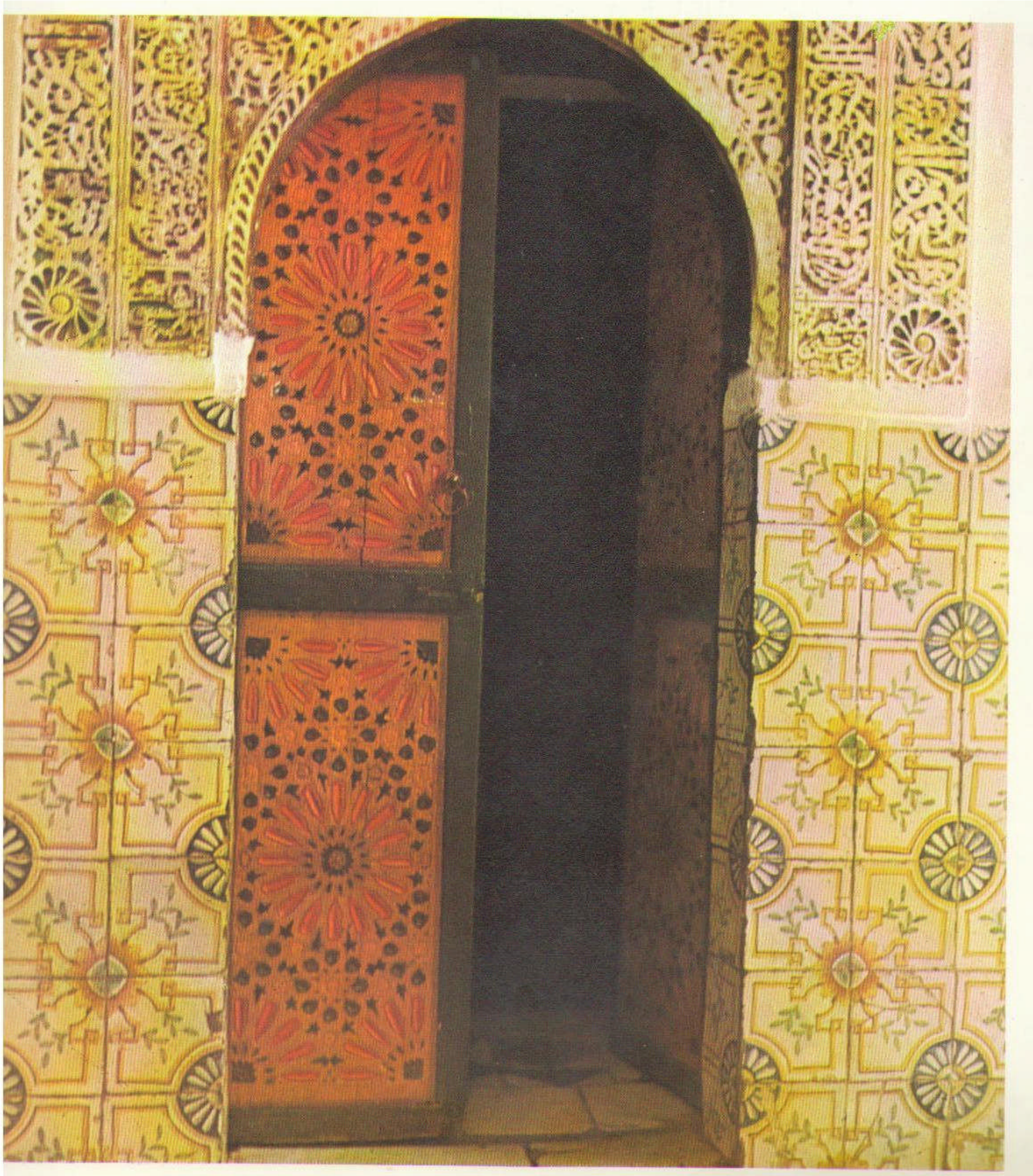
ملحق رقم: 16



مسجد سيدي بومدين بتلمسان

1 سلسلة الفن، المرجع السابق، ص: 04.

ملحق رقم: 17



باب ضريح سيدي بومدين بتلمسان

1 - سلسلة الفن ، المرجع السابق، ص: 46.

نص الوقفية

يظهر من نص وقفية أبي مدين الغوث توفر الأركان الأساسية الواجبة لشرعية هذا الوقف، وهي اسم الواقف ووصف الوقف وشروط الواقف، والجهات المستحقة لهذا الوقف، وكيفية الاستفادة منها، والصفات التي حددها الواقف ومتوليه وواجبا ا.

تتكون وقفية أبي مدين الغوث من مكانين منفصلين هما:

1-قرية عين كارم، وتشتمل على أراضي تضم المعتمل، والمعطل، والعامر، والداثر، والصخور، والسهول، والأوعار. وتشتمل أيضا على آثار دور برسم سكن فلاحيها، وآثار بنيان بأراضيها، وبستان صغير يستقى من ماء عينها، وأشجار رمان وزيتون وخروب وتين وبلوط وقيقب. وذلك بجميع حقوقها مرافقها ومزروعها ومفتلحها وآبارها ودوالي العنب الرومية العتيقة وكل ما ينسب للقرية سواء أكان داخلها أم خارجها، واستثنى من ذلك مسجد القرية، والطريق العام، والمقبرة الخاصة بالمسلمين. وحددت الوقفية القرية من جها ا الأربع، فالحد القبلي "الجنوبي" منها ينتهي إل قرية المالحة، أما الحد الشمالي فينتهي إلى بعض أراضي عين كاووت، وقلونية، وحاراش، وصاطاف، وزاوية البختياري، وينتهي الحد الغربي إلى عين الشقاق، أما الحد الشرقي فينتهي إلى بعض أراضي قرية المالحة وبيت مزميل.

2-أما المكان الثاني في الوقفية فيقع داخل مدينة القدس ويعرف بقنطرة أم البنات بباب السلسلة، ويشتمل على إيوان (قاعة) وغرفتين، وساحة سماوية، ومرتفق ومخزن، وقبو في أسفل المبنى. ويلاحظ أن الوقفية لم تبد اهتماما بتحديد هذا المكان، واكتفت بالإشارة إلى أنه لذلك حدود أربعة معلومة. وقد أوقف هذا المكان "الإيوان" ليكون زاوية يسكن فيها الواردون من المغاربة إلى القدس، واستثنى من ذلك الإناث والمغاربة المقيمين في المدينة. وتؤكد الوقفية أن هذا الوقف هو

وقف أبدي لا يبطله تقادم دهر، ولا يوهنه اختلاف عصر، كلما مر عليه زمان أكده، وكلما أتى عليه أوان بينه، وسدده أبد الآبدين، ودهر الداهرين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.[1]

[1] - زعيم خنشلاوي، محمد الحزماوي، المرجع السابق، ص: 120.

قائمة

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

1 - القرآن الكريم.

2- المصادر المخطوطة:

1- أبومدين شعيب (الحسن) المغربي الأندلسي التلمساني، معهد الثقافة والدراسات الشرقية، جامعة طوكيو، اليابان.

2- محمد بن أحمد بن أبي الفضل بن صعد التلمساني، النجم الثاقب فيما لأولياء الله من المفاخر والمناقب، الخزانة العامة، الرباط، رقم ك 1292.

2- المصادر المطبوعة:

3- ابن الزيات (أبي يعقوب يوسف بن يحي التادلي)، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تح: أحمد توفيق، ط2،منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، ، 1997م.

4- ابن خلدون (أبي زكريا يحي)، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تح: عبد الحميد حاجيات، ج1، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1400هـ – 1980م.

5- ابن خلدون (عبد الرحمن)، المقدمة، تح: لونان، دار الكتب العلمية، بيروت.

6- ابن خلدون (عبد الرحمن)، ديوان العبر والمبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج6، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1391هـ - 1971م.

7- ابن خلكان (شمس الدين أبو العباس أحمد)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ا لمد 03، دار صادر، بيروت.

8- ابن خلكان(شمس الدين أبو العباس أحمد)،وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان،ج5؛ دار صادر بيروت.

9- ابن عذارى (المراكشي)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، قسم الموحدين، تح: محمد إبراهيم الكتاني وآخرون،ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1406هـ - 1985م.

10-ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق عبد القادر الارناؤوط وآخرون، ط1، ج6، دار ابن كثير، 1411هـ/1990م.

11-ابن فرحون (القاضي إبراهيم نور الدين)، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، تح: مأمون بن محي الدين الجنان، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1417هـ - 1996م.

12-ابن مريم (الشريف المليتي المديوني التلمساني)، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، مر: محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1326هـ – 1908م.

13-أبي عبد الله محمد (بن عيشون الشراطي)، الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس، تح: زهراء النظام،ط1، منشورات كلية الآداب، الرباط، ، 1987م.

14-أبي مدين، ديوان أبي مدين.

15- البكري (أبو عبد الله)، البيان المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، مكتبة المثنى، بغداد.

16-بن إبراهيم، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، الجزء العاشر، المطبعة الملكية، الرباط، 1403هـ – 1983م.

17- بن أحمد بن عثمان الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد)، سير أعلام النبلاء، تح: بشار عواد معروف ومحي هلال السرحان، ج11، ط11، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1417هـ – 1996م

18- بن إسماعيل(النبهاني يوسف)، جامع كرامات الأولياء، تح: إبراهيم عطوة عوض، ج2، ط1، مركز أهلسنة بركات رضا فور بندر غجرات، الهند، 1322هـ -2001م.

19-بن القنفذ القسطنطيني (أبي العباس أحمد الخطيب)، أنس الفقير وعز الحقير، تص: محمد الفاسي وآخرون، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي.

20- بن جعفر بن إدريس الكتاني (أبي عبد الله محمد)، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، تحقيق: الشريف محمد حمزة بن على الكتاني.

21-بن خالد الناصري (أبو العباس أحمد)، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر الناصري، محمد الناصري، الجزء الثاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954م.

22-بن محمد المقري التلمساني (شهاب الدين محمد)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، مج07 ، دار صادر، بيروت.

23- بن محمد المقري التلمساني (شهاب الدين أحمد)، أزهار الرياض في أخبار عياض، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، الجزء الثاني، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1359هـ – 1940م.

24-بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي (أبي عبد الله محمد)، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، (السفر الرابع)، تح: إحسان عباس،ج4، دار الثقافة للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

25-بن محمد مخلوف(محمد)، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، 1349هـ.

26- بن يحي بن عمر القرافي (بدر الدين محمد)، توشيح الديباج وحلية الإبتهاج، تحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية.

27-البيذق (أبو بكر بن على الصنهاجي)، أخبار المهدي بن تومرت، تح: عبد الحميد حاجيات، وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2007م.

28-التنبكتي (بابا أحمد)، نيل الإبتهاج بتطريز الديباج 963هـ- 1036م، تق: عبد الحميد عبد الله الهرامة، ج1، ج2، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس.

29- حكم سيدي بومدين شعيب وابن عطاء الله السكندري، جمع وتحقيق: يحي أبو عبد الواحد الأمين بوكليخة، تلمسان، 2001م.

30-خليل بن أيبك الصفدي (صلاح الدين)، الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى،ج16، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان ، 1420هـ- 2000م.

31-الزركلي (خير الدين)، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعمرين والمستشرقين، الجزء الثالث، الطبعة 15، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 2002م.

32-السخاوي(محمد بن عبد الرحمن)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ا لمد الأول، منشورات دار المكتبة الحياة.

33-الشريف الإدريسي (عبد الله) القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس (مقتبس من كتاب نزهة المشتاق)، تح: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م.

34-الشهرستاني (محمد بن عبد الكريم)، الملل والنحل، تح: أمير علي مهنا، وآخرون،ج1، ط6، دار المعرفة، بيروت، 1417هـ - 1997م.

35- الفاسي (عبد الكبير المجذوب) ، تذكرة المحسنين بوفيات الأعيان وحوادث السنين، تح: محمد حجي،ج2،ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1417هـ – 1996م.

36- مؤلف مجهول، الإستبصار في عجائب الأمصار، تعليق: سعد زغلول عبد الحميد، دار الثقافة العامة ، العراق.

37-مؤلف مجهول، مفاخر البربر، تح: عبد القادر بوباية ، ط1،دار أبيب رقراق للطباعة والنشر، 2005م.

38-المكناسي (أحمد بن القاضي)، جذوة الإقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، القسم الثاني، دار المنصور للطباعة والوراقة- الرباط ، 1974.

3 -المراجع العربية:

39-مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين،448هـ/1556م إلى 668هـ/1269م. دراسة سياسية وحضارية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية.

40-أبو اليزيد المهدي (جودة محمد)، بحار الولاية المحمدية في مناقب أعلام الصوفية،ط1، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1998م.

41-أبو رميلة (هشام) ،علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس، ط1، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، 1404هـ، 1984م.

42- أبي القاسم(محمد الحفناوي)،تعريف الخلف برجال السلف،مطبعة بيرفونتانا الشرقية في الجزائر ،1324هـ/1906م.

43-بلحيا(بودواية)، التصوف في بلاد المغرب العربي،ط1، دار القدس العربي للنشر والتوزيع الجزائر،2009م.

44-بن رمضان شاوش (الحاج محمد)، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1995.

45-بن عبد الله (عبد العزيز)، معلمة التصوف الإسلامي، دار المعرفة للنشر والتوزيع، الرباط، ج2، ط1؛ 2001م.

46-بن محمد (عبد الغني)، الإسهامات العلمية للحضارة الإسلامية، العلماء المسلمون، إسهاما م العلمية ومؤلفا م، دار البحار للطباعة والنشر والتوزيع، عمان.

47- بوعزيز (يحي) ، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995م.

48-بوعزيز (يحي)، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج2، ط1،دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995م.

49- بوعزيز(يحي)، الموجز في تاريخ الجزائر القديمة والوسيطة، ج1،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر،2007م .

50- بوعزيز(يحي)، مدينة وهران عبر التاريخ ويليه مدينة تلمسان عاصمة المغرب الأوسط ويليه المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م.

51- التليدي (عبد الله بن عبد القادر)، المطرب بمشاهير أولياء المغرب ، دار البشائر الاسلامية، بيروت، ط4؛ 2003.

52-جعفري(عبد المنعم)، أعلام مشاهير الصوفية، ط1، الدار الثقافية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1424هـ/2003م.

53-الجيلالي (عبد الرحمان) تاريخ الجزائر العام، دار الثقافة، بيروت،ج2،ط4؛ 1400هـ/1980م .

54-خليفي (عبد القادر)، الطريقة الشيخية، ط2، منشورات ا لس الإسلامي الأعلى، الجزائر، 2010م .

55-خنشلاوي (زعيم) وآخرون، وقف سيدي أبومدين في القدس الشريف ، 760هـ/1320م، وزارة الثقافة، الجزائر، 2009م.

56-سلسلة الفن والثقافة، تلمسان، وزارة الإعلام والثقافة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

57-شوقي(أبو خليل)، حطين بقيادة صلاح الدين الأيوبي ، دار الفكر، دمشق ، 1426هـ/ 2005م.

58-طبعة خاصة (وزارة ا اهدين) مساهمة الجزائر في الحضارة العربية الإسلامية، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954م، الجزائر.

59-طه(جمال أحمد)، مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين،

60-العربي (إسماعيل)، دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980م.

61-على بدوي (يوسف)، عصر الدويلات الإسلامية في المغرب والمشرق من الميلاد إلى السقوط،ط1، دار الأصالة، الجزائر،2010م.

62-علي غلام (عبد الله)، الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي، وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية، 2007م.

63-عنان (محمد عبد الله) ، دولة الإسلام في الأندلس ، ط2، ج3، مكتبة الخانجي ، مصر، لجنة التأليف والترجمة والنشر .

64-فيلالي (عبد العزيز)، تلمسان في العهد الزياني، ج2، موفم للنشر والتوزيع، 2002م.

65-الفيومي(محمد إبراهيم)، تاريخ الفلسفة الإسلامية في المغرب والأندلس، ط1، دار الجيل، 1470هـ/1997م.

66-القاسمي الحسني (عبد المنعم)، أعلام التصوف في الجزائر، ط1، دار الخليل القاسمي للنشر والتوزيع ، الجزائر، 1425هـ.

67- الكعاك (عثمان)، موجز تاريخ الجزائر العام من العصر الحجري الى خروج الفرنسيين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1؛ 2003م.

68-مؤنس (حسين)، موسوعة تاريخ الأندلس فكر وتاريخ وحضارة وتراث، ط2،ج3، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1996م.

69-مؤيد العقبى (صلاح)، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر، تاريخها ونشأ ا، ج1؛ ط1، دار البصائر، الجزائر، 2002م.

70- محمود (عبد الحليم)، شيخ الشيوخ أبو مدين الغوث، حياته ومعراجه إلى الله، دار المعارف، القاهرة، 1958م.

71-النجار(عمار)، الطرق الصوفية في مصر نشأ ا ونظمها وروادها، دار المعارف، مصر، طبعة خاصة.

72-هلال (عمار)، الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافة العربية في غرب إفريقيا السمراء، وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية، 2007م.

1- المراجع المترجمة

73-بوشامة (كمال)، الجزائر أرض عقيدة وثقافة، تر: محمد المعراجي، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع .

74- بيل(ألفريد)، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، تر: عبد الرحمان بدوي، ط3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987م.

75-جنثالث بالنثيا (أنخل)، تاريخ الفكر الأندلسي، نق: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.

76-مارسيه (جورج)، بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى، تر: محمود عبد الصمد هيكل، منشأة المعارف الإسلامية، الإسكندرية، 1991م .

5-الرسائل الجامعية

77-رياض صالح على حشيش، الحركة الصوفية في بلاد الشام خلال الحروب الصليبية (492-690هـ/1098-1291م)، (مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ)، كلية الآداب في الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، 1426هـ/2005م.

78-زينب ملياني، التصوف بالغرب الإسلامي في عصر المرابطين والموحدين (مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي الوسيط)، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، الجزائر ، 2006-2007م/1427-1428هـ.

79-واعظ نويرة، أثر ثورة بني غانية على الدولة الموحدية 580هـ-1184م/633هـ-1235م، (مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط)، جامعة الجزائر، 2007م- 2008م .

6- ا لات:

80-عبد القادر الخلادي، "أبو مدين الغوث دفين تلمسان (520-594هـ/1126-1197م)" : الأصالة، العدد26، الجزائر، رجب –شعبان 1395هـ/ جويلية – أوت 1975م .

81-عبد الرحمان الجيلالي، " لمحة عن زحف بن غانية الميورقي على بجاية ":الأصالة، العدد19، صفر – ربيع الأول1394هـ/ مارس –أفريل 1974م، الجزائر.

82-عبد الحميد حاجيات: "مساهمة المغرب العربي في ازدهار الحضارة العربية الإسلامية «: الثقافة، العدد81، السنة الرابعة عشر، الجزائر، شعبان – رمضان 1404هـ / مايو – يونيو 1984م.

83-عبد الحميد حاجيات، " تلمسان كمركز الإشعاع الثقافي في المغرب الأوسط ": مجلة الفقه والقانون، العدد العاشر، الجزائر.

84-عمار طالبي، " الحياة العقلية في بجاية": الأصالة، العدد19، صفر – ربيع الأول 1394هـ/ مارس – أفريل 1974م، الجزائر .

85-السيدة عالمة، "نظرة على تاريخ بجاية": الأصالة ، العدد19، صفر –ربيع الأول / 1394هـ/ مارس –أفريل 1974م، الجزائر .

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات